زيات

الرد للمكبرين في الاسلام

١

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

تجليد مكتبة
صالح الد

Cat. Mar. 18, 54

CA 282
Z39rA
v.1
c.1

الروم الملكيون في الإسلام

الجزء الأول

بقلم

حبيب زيات

« الملكية هم محمد النصرانية وقطبها لان
المشارقة وهم العباد الملقبون بالنسطورية)
واليعاقبة عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا »

(مروج الذهب للمسعودي
بهامش نفح الطيب ١ : ١١٢)

Cat. Mar. 18: 54

المطبعة البولسية — ايلول ١٩٥٣ — حريصا - لبنان

مقدمة

في صيف العام الماضي اجتمعنا في عين تراز مع اصحاب السيادة اساقفة كرسينا البطريركي للنظر في شؤون شتّى تهمّ كنيستنا الملكية ومن جملتها مسألة تعيين اللقب التاريخي الصحيح الذي عُرف به شرعاً اتباع الطقس البيزنطي مدة عشرة قرون اي منذ دخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس وكتب عهد الصلح للبطريرك الاورشليمي صفرونيوس الى زمن انفصال الطائفتين الشقيقتين سنة ١٧٢٤. وكان لقب «الملكية» او «الملكانية» يعمهم قبلاً دون اقلّ فرق او تمييز. ولكن بعد الاستقلال بقي اولياء رومة يُعرفون باسم «الروم» فقط كما في حلب او «الروم الكاثوليك» و«الروم الملكيين الكاثوليك» كما في سائر الابرشيات الى وقتنا الحاضر

ولما كان اسم الروم يدعو الى الظن ان اصحابه هم من امة الاغريق او اليونان ويوهم انهم من اصل اجنبي لا يخوّلهم الحق بالانتساب الى الجنسية البلدية خشي فريق من الطائفتين من غوائل هذا الانتساب وقام بينهم في مصر جدال في ايّ لقب يصحّ شرعاً اطلاقه على المعروفين بالروم الشرقيين لتنتفي عنهم كل ظنة وريبة ويكون لقبهم صريحاً منزهاً عن كل اشتباه. وترددت

الآراء في اختيار الاوفق بين لقب «الروم» و«الملكيين» و«الكاثوليك» مفردة او مضافاً بعضها الى بعض

بيد ان اختيار اللقب لا يصحّ الّا اذا كان مبنيًّا على حجَج وآساس تاريخية ايّدتها الازمنة والنقول وشهدت بها العهود والكتابات السلطانية. ولا بدّ قبل الحكم من بسط هذه الحجج والمستندات لدفع كل اعتراض. ولا يخفى ما يتطلبه هذا العلم من البحث الشاق والوقت الطويل ولذلك رأينا ان اولى من يضطلع به اليوم هو ولدنا حبيب زيات فريد عصره في التدقيق في المسائل التاريخية ولاسيما الشرقية منها ومؤلف كتاب «الديارات النصرانية في الاسلام» لتخصصه بمثل هذه الدروس التي انفق في سبيلها عمره وماله. فرغبنا منه ان يوافينا بما لديه من الفوائد والبيانات لنتمكن من فصل القول. فلبّى طلبنا مع ضيق اوقاته وكثرة ما يشغله من الاعباء والكتابات. وكتب لنا هذا الجزء الاول الذي دعاه «الروم الملكيون في الاسلام» وجمع فيه كل ما تلقطه من الادلة والاقوال في مطالعاته العديدة اثناء طوافه على الخزائن العربية في الشرق والغرب. واكثرها كان مجهولًا لم يهتدِ اليه احد قبله من المؤرخين

ومن نقائض الدهر التي لم تكن في الحساب ان اهمّ ما ظفر به من هذه الخبايا الدفينة اصابه ليس في الاصول والمصادر المسيحية التي كانت مظنّته لها ولكن وقف عليها عرضاً اثناء

مطالعاته المؤلفات الاسلامية التي وردت فيها اتفاقاً في شجون الحديث. وكانت خبرته الطويلة قد دلّته على ان من شاء ان يعلم حق علم حقيقة اخبار الفرق المسيحية الذين عاشوا في ذمة الاسلام ينبغي له ان يتطلبها لا في ما يرويه عنهم الغرباء في القسطنطينية واثينة او سواهما من الديار التي كانت تعرف في عهد الخلافة العباسية باسم «ديار الحرب» ولكن يقتصر على البحث عنها في ما لعلّه جاء منه في غضون الكتابات الاسلامية من مجاوريهم ومعاصريهم في الحياة والممات. واهمها الشهادات الديوانية وهي اجلّ اثر يوثق به واوضح مرآة تتجلّى فيها اوصاف النصارى واخبارهم دون ان تغشاها اقلّ مسحة من الميل او التحزّب

وقد اسعده التوفيق بالعثور على شهادة سلطانية رواها وصوّرها لنا من قلم احد كتّاب الانشاء الشريف بمصر صرّح فيها ان الملكيين في زمانه في القرن الرابع عشر كانوا اذا اختاروا بطريركاً لهم يستمدون له الولاية من مصر بعد كتابة محضر باستحقاقه للبطريركية ثم يكتبون محضراً ثانياً ويجهزونه الى «الباب» برومية ليقف عليه ويجهز لهم استمرار الولاية اي اثبات انتخابهم للبطريرك

ولا يخفى على احد قيمة هذه الوثيقة الرسمية كما نقول اليوم. وهي كافية لابطال كل ما ادعاه خصوم الكثلكة ان الملكيين في الشام ومصر كانوا بعد سنة ١٠٥٤ من اشياع كيرولاريوس

وتابعيه في الشقاق والعداء. وكان قبلاً قد نقل لنا بالتفصيل كل ما قرأه من الاقوال والشهادات الناطقة بان لقب « الملكي » ما برح في كل وقت مرادفاً للقب « الكاثوليكي » ولذلك كان يطلق على الفرنج والصليبيين وعرفت به الباباوات بانهم بطاركة الملكيين. ومنه تتضح فضيلة هذا اللقب وقيمته التاريخية التي لا تعادَل. وكان حقيقاً بنا ان نقتصر عليه وحده ولا نضيف اليه صفة الكاثوليك وهو مرادف لها ودال عليها. ولكن غلبت هذه الاضافة منذ انفصال الطائفتين للتنبيه على ان الملكيين اليوم هم غير الروم الارثوذكس. وكان لا بدّ في ذلك الوقت من هذا التمييز ولاسيما في نظر الغربيين

وكان لقب الملكيين في الاسلام يرادف احياناً باسم « الروم » لان اتباع الطقس البيزنطي كانوا في الحقيقة متألفين من عناصر شتّى بلدية واجنبية ولكن وقع الخطأ بعد الانفصال بترجمة كلمة « روم » باسم grecs اغريق الذي هو مختص اليوم باليونان وحدهم. ومعلوم ان كلمة « روم » هي مقتطفة من لفظة رومانيان Romanian نسبة الى رومة الجديدة التي اشتهرت بها بيزنطية بعد انتقال القياصرة اليها من رومة القديمة. وكان الاولى من ثمّ ان يقال في ترجمتها « روماني » نسبة الى رومة. ولكن كذا اشتهرت ترجمة Grec في وقتها ولا سبيل الى تغييرها. وقد يقوم احياناً الغلط المشهور مقام الصواب المهجور

وفي الكتاب عدة فصول حافلة بالفوائد والطرائف وردت لاول مرة في اخبار الكرسي الانطاكي وغالبها مستمد من الاصول الاسلامية وهو ما يضاعف اعتبارها وقيمتها الغالية ولذلك نشير على كل فرد من افراد طائفتنا العزيزة ان يقبل على اقتناء هذا الكتاب ومطالعته بكل جدّ وروية ويحتفظ باقواله وشهاداته ليكون على معرفة صادقة بتاريخ اجداده وبينة من اصل لقبه الملكي العريق بالمجد والفخر

القاهرة في اول مايو ١٩٥٣

✠ مكسيموس الرابع
بطريرك انطاكية وسائر المشرق
والاسكندرية واورشليم

الروم الملكيون في الاسلام

اصل لقب الملكيين

اجمع كل مؤرخي النصرانية على ان هذا اللقب نشأ في القرن الخامس اطلقه اليعاقبة على من خالفهم من نصارى الشرق ووافقوا مرقيان الملك على قبول المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ . وكان اول اطلاقه في الاسكندرية حين اراد اليعاقبة التميّز عن الروم فتسمّوا بالقبط اي المصريين وسموا من خالفهم الملكيين[١] . ويستدل من شهادة المؤرخ ايڤاغريوس من اهل القرن السادس ان اصل وضعه سنة ٤٦٠ كان قبلًا باللغة اليونانية قيل فيه Βασιλικός[٢] من Βασιλεῦς اي الملك . وبه عيّر تيموتاوس بطريرك الاسكندرية (٤٦٠ — ٤٨٢) تعريضاً بانه بطريرك الملك لانتحاله رأيه في المجمع الخلقيدوني . وهذا المعنى هو نفس المراد بلقب الملكية[٣]

وكانت اللغة اليونانية حتى القرن السادس لغة كل النصارى الشرقيين من اقباط وسريان فضلًا عن الملكيين . ثم حلّت محلها اللغات البلدية وبقيت منها بقايا في الكنيسة القبطية الى القرن الحادي عشر . ولما أُقيم البطريرك ابا مقارة سنة ٨١٩ للشهداء[٤] (١١٠٣ للميلاد) وقدس في الكنيسة المعلقة المعروفة بالسيدة في

---

١ L. Duchesne: *Autonomies Ecclésiastiques — Églises Séparées 1896*, p. 52.

٢ *Évagre*, livre II chap. II Migne, t. 86 col. 2532.

٣ L. Duchesne: *Histoire Ancienne de l'Église*, t. III p. 486, note 2.

٤ في مصباح الظلمة لابن كبر انه تولى البطريركية سنة ٨١٧ للشهداء (١١٠١) وفي خطط المقريزي وصبح الاعشى للقلقشندي سنة ٤٩٢ للهجرة (١٠٩٨)

مصر « قُرِئَ تقليده على الانبل يونانيًا وقبطيًا وعربيًا[1] » . ولذلك قال ابن العسّال احد مشاهير الاقباط في مقدمة كتابه تصحيح الانجيل « ان القبط لما زال ملكهم وملكت عليهم الروم تكلموا بالرومي ايضاً . ودليله ان قداساتهم الى اليوم (١٢٥٣ م) يوجد فيها الكثير من الالفاظ الرومية . . . فلما غلبت اللغة العربية على القبط لم يبقَ منهم من يعرف القبطية او الرومية الا القليل[2] »

ومما تقدم يتضح غلط الرأي الشائع ان لقب الملكية وضعه اليعاقبة في الشام وانه من اصل سرياني . وممن وقع فيه من علماء السريان البطريرك افرام الرحماني في كتابه « المباحث الجلية في الليترجيات الشرقية والغربية، (ص ٤٧٣) وليس في شيء من اقوال المؤرخين الاقدمين ما يؤيد ذلك . وانما كان اول اطلاقه كما قلنا في الاسكندرية ولم تكن السريانية فيها وقتئذٍ لغة القوم . بل كانت اليونانية هي اللغة الغالبة حتى بين القبط ولذلك سمّوا بها « باسيليكُس » كل من كان على دين الملك واتّبع رأيه في المجمع الخلقيدوني

وقد ثبت ذلك دون خلاف من شهادة خصوم الملكيين انفسهم . قال ساويرس ابن المقفّع اسقف الاشمونين القبطي في القرن العاشر في سيرة البطريرك ديسقورس :

« لقي من الجهاد على الامانة الارثدكسية شدائد صعبة من مرقيان الملك ومن زوجته ونفوه عن كرسيه بتحامل مجمع خلقيدونية وميلهم الى هوى الملك وزوجته حتى انهم سمّوا الملكية هم وكل من يتبع امانتهم الفاسدة لاجل اتباعهم رأي الملك[3] »

وفي خزانة باريس مجموع قبطي في اوله « خبر ديسقورس » تليه مقالة « في بيان سبب ما سميوا الملكيين واليعاقبة » جاء في الاول ما نصه : « اتفقوا على امانة خلقيدونية ان المسيح ربنا إله وانسان بطبيعتين مختلفتين . . . وسموا

---

١ سيرة البطاركة ٣٠٢ خزانة باريس ٢٠٠ — ٢٠١

٢ كتاب الانجيل المقدس . اكسفرد Hunt. 118 غير مرقوم

٣ كتاب سِيَر الاباء البطاركة طبعة سيبولد بيروت ٨٣

الملكية الى اليوم اي اصحاب الملك» . وفي المقالة الثانية : «انما سميوا الملكيين لاجل خوفهم من سطوة مرقيان الملك وقبولهم امانته فسميوا بهذا الاسم ملكية اي اصحاب الملك[1]»

ونقل النساطرة مثل ذلك فقال ماري بن سليمان في كتاب المجدل بعد شرحه قرار مجمع خلقيدونية : «وثبت الى الآن على هذا التقرير مقالة الروم ودعوا الملكية لان الملك قرر جوهرين واقنوماً[2]» وجاء مثل ذلك في كتاب «البرهان على صحيح الايمان» من مخطوطاتهم المحفوظة في خزانة الفاتيكان قال في الكلام على مجمع خلقيدونية : «وتوسط الملك مرقيان على جهة المصانعة والصلح بينهم لتعذر اقامة الحق عندهم فقال لا يقال باقنومين مثل نسطوريس ولا بجوهر واحد مثل ديسقورا واشباهه . ولكن يقال بجوهرين واقنوم واحد . وامر بذلك وقواه وبذل السيف في من يخالفه فقال بعض الشر اهون من بعض . فسموا لاجل ذلك ملكية[3]»

ثم نقل السريان لقب باسيليكس فقالوا فيه «مَلكايا» وعُرّبت هذه التسمية فرسموها بالهمز «ملكائية» نسبة الى ملكا بمعنى الملك كما قالوا «القُنّائية» في النسبة الى دير قنّى . والمدرسة «المنجائية» نسبة الى زين الدين ابن المنجا الدمشقي . قال محمد الخوارزمي الكاتب في كتابه مفاتيح العلوم : «النصارى ثلاثة اصناف . اولهم الملكانية وهم منسوبون الى ملكا[4] وهم

---

١ خزانة باريس ٦٧٨٦ ص ١٠ و١٦

٢ كتاب المجدل ١٩٠ باريس ٩٥٠

٣ خزانة الفاتيكان رقم ١٨٠ ص ١٥٥ — ١٥٦

٤ كان محمد الخوارزمي الكاتب يعرف السريانية كما يستدل من مواضع في كتابه المذكور فلم يكن يخفى عليه معنى مَلْكا كما خفي على القلقشندي وقد تردد بين ملكا وملكان وظن ان ملكا هو اسم رجل بعينه ظهر قديماً في بلاد الروم (صبح الاعشى ١١ : ٣٩٢) ويشبه هذا الوهم التباس لفظة الملكيين على بعض حجاج الفرنج في بيت المقدس وكان الملكيون يعرفون ايضاً عندهم بالسوريين Suriens ou Syriens قال احدهم سنة ١٥٨٩ «السوريون لهم بطريرك مقيم في مدينة ملك» (*Voyage du Seigneur de Villamont.* Rouen 1618 p. 425.

اقدمهم . واهـل الروم كلهم ملكائية » (٣٣) وذكرهم ايضاً بهذا الرسم ابو الريحان البيروني المشهور فقال : « النصارى مفترقون فِرَقاً . فالاولى منهم الملكائية وهم الروم . وانما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم وليس بالروم سواهم[1] »

وغلب عـلى هذا الرسم احياناً النسبة بالالف والنون فقالوا في ملكا « ملكانية » كما قالوا في النسبة الى زملكا وداريا من قرى دمشق زملكاني وداراني . واكثر ما وردت هذه الصيغة في بعض كتب البلدان وكتب المِلَل والنِحَل وكتب المصطلح الشريف كالتعريف وصبح الاعشى وهي تتعاقب فيها مع لقب الملكية الشائع في كل الاسفار العربية

ولما ذاعت لفظة الملكانية وتكررت على الاسماع توهم بعضهم انها نسبة الى رجل يسمى ملكان . وممن استُدرج في هذا الخطإ الشهرستاني في كتابه المِلَل والنِحَل . وبعد ان نقل القلقشندي قوله « الملكانية هم اتباع ملكان الذي ظهر ببلاد الروم قال : ورأيت في بعض المصنفات انهم منسوبون الى مركان احد قياصرة الروم حيث انه كان يقوم بنصرة مذهبهم فقيـل لهم مركانية . ثم عُرّب ملكانية[2] » وجاء مثل ذلك في مخطوط خزانة باريس رقم ٤٤٣٩ الموسوم تخميناً بعنوان ديوان الانشاء (ص ١٣٩)

وقد احسن ابن خلدون في تعليل اصل لقب الملكية فقال اولاً عند ذكر مجمع خلقيدونية : « منه افترقت الكنائس والاساقفة الى يعقوبية . وملكية . ونسطورية . فاليعقوبية اهل مذهب ديسقورس الذي قررناه آنفاً . والملكية اهل الامانة التي قررها جماعة نيقية وجماعة خلقيدونية بعدهم وعليها جمهور النصرانية . والنسطورية اهل المجمع الثالث واكثرهم بالمشرق » . ولما ذكر الملك مرقيان قال ثانياً : « كان في ايامه المجمع الرابع في خلقيدونية وقد

---

١ الآثار الباقية من القرون الخالية . ليدن ٢٨٨ — ٢٨٩

٢ صبح الاعشى ١٣ : ٢٧٦ — ٢٧٧

تقدم ذكره وانه كان بسبب ديسقرس بطرك الاسكندرية وما أحدث من البدعة في الامانة فاجمعوا على نفيه وجعلوا مكانه برطارس (Pretorius) وافترقت النصارى الى ملكية وهم اهل الامانة فنسبوا الى مركيان قيصر الملك الذي جمعهم وعهد ان لا يُقبل الا ما اتفق عليه اهل المجمع الخلقيدوني . والى يعقوبية وهم اهل مذهب ديسقرس وقد تقدم الكلام في تسميتهم يعقوبية . والى نسطورية وهم نصارى المشرق[1] »

وحكى مثل ذلك المقريزي في كلامه على المجمع الخلقيدوني فقال : «ومن هذا المجمع افترق النصارى وصاروا ملكية على مذهب مرقيانس الملك . ويعقوبية على رأي ديسقورس[2] » . ومرّ بنا قريباً قول البيروني ان الملكانية انما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم . ولدينا شهادة اخرى اسلامية اقدم عهداً واجل خطراً من كل ما سبق لصدورها عن بعض ذوي قرابة الخليفة المأمون العباسي وهو عبدالله بن اسمعيل الهاشمي في رسالته الى عبد المسيح بن اسحق الكندي كتبت بين سني ٨١٣ — ٨٣٣ اي في عهد المأمون . وقد شهد بصحتها البيروني في كتابه الآثار الباقية (ص ٢٠٥) وهذا نص ما جاء فيها من خطاب عبدالله الهاشمي المذكور قال : «فاما الكتب الحديثة . . . فهذه كلها قد قرأتها . . . وناظرت فيها من اهل فِرَقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة اعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكيرلس وهم الروم . واليعقوبية وهم اكفر القوم واخبثهم قولا . . . والنسطورية اصحابك وهم . . . اكثر ميلًا الى قولنا معشر المسلمين[3] »

ومن اشد ما يُتلهَّف عليه اليوم لغنائه وفائدته الجلى في التعريف بفرَق النصرانية في الشرق فقد امثال هذه الرسالة الهاشمية من المقالات والمناظرات

---

١ العبر طبعة بولاق ٢ : ١٥٣ و ٢١٦

٢ الخطط طبعة بولاق ٢ : ٤٨٨ — ٤٨٩

٣ رسالة عبدالله بن اسمعيل الهاشمي الى عبد المسيح بن اسحق الكندي . طبعة لندرة ١٨٨٥ ص ٧ — ٨

القديمة التي وضعت في الكلام على الديانات والمذاهب في الاسلام . وفي مقدمتها عدة مصنفات للمسعودي مثل كتاب « الامانة في اصول الديانة » . و« فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف » . و« المسائل والعِلل في المذاهب والمِلل » . و « المقالات في اصول الديانات » . وغيرها من كتبه الضائعة وقد وصف فيها كل ما سبق زمانه او كان على عهده من المِلَل والنِحَل واوعبها من الشرح والبيان ما لم يُجارِه فيه او لم يتوسع توسعه كثير من المؤرخين الذين عنُوا بوصف ما تقدم من سِيَر الامم الغابرة ورواية ما كان لهم من العقائد والديانات والطرائق والعادات . وكان كما يتمثل لنا من كتبه جوّابةً نِضْوَ اسفار وطُلَعةً جهينة اخبار . يقيد كل ما يشاهده في رِحَله ويعي كل ما يسمعه في تنقلاته . ويبحث عن كل ما فاته من الحوادث الكائنة قبل زمانه . ويتتبّع مؤلفات كل قوم ويناظر كل من يجتمع به من العلماء في المذاهب والاراء . وقد ذكر في كتابه « التنبيه والاشراف » انه اجتمع بابي زكريا دنحا من علماء اليعاقبة وناظره في الثالوث وغيره في قطيعة ام جعفر في بغداد وفي تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء (ص ١٥٥) ولذلك كانت كتبه مفعمة بالفوائد والطرائف والاعتبارات والاستطرادات مما لا تُرى في كتب غيره من المؤرخين . وكان مشاركاً في كثير من العلوم وافر الاطلاع واسع الحفظ والصدر مترفعاً عن كل تشدّد وتعصب لا يتحرج من رواية اخبار النصارى والتبسط في نقل ما وقف عليه من تواريخهم وشؤونهم والكلام على فِرَقهم وخصائصهم ومراتبهم وعقائدهم دون ان يرى رأي ابن خلدون انه « يسخّم اوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم » (المقدمة ص ١٩٥) وقلّ ان يُرى مغربي نظير ابن خلدون لا يُسيء في الحكم على من خالفه في الدين . وقد اصاب المسعودي في كثير مما حكاه عن النصارى في كتابه التنبيه والاشراف وانصف الملكية بينهم غاية الانصاف . وعدد مجامعهم باجمل لفظ واصدق بيان ووقف فيها عند المجمع السادس . ونبّه في كتابه مروج الذهب على ان الملكية هم الاصل الذي تفرعت منه بقية النصارى . وبعد ان حكى مراتب الكهنوت عندهم قال : « هذا

ترتيب الملكية . وهم عمد النصرانية وقطبها . لان المشارقة وهم العباد الملقبين بالنسطورية ، واليعاقبة عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا[1] » . ولا يخفى قدر هذه الشهادة من حَكَم غريب في حق قوم كانوا في ايامه يتهمون بانهم اعداء الدولة كما سيجيء

وكانت هذه المزية السابقة للملكيين وهذا التقدم في الرتبة والاصل . معروفة عند الخلفاء والملوك تُسجَّل لهم في التواقيع والعهود التي كانت تعطى لكل بطريرك قام منهم . وهي بمثابة البراءات التي كانت تسلّم لهم في الدولة العثمانية . وقد نقل القلقشندي مثالًا منها في ايام المماليك وهي لا شك نسخة ما كان منها في ايام الخلفاء العباسيين لشدة محافظة الدواوين على التقليد واجتناب كل ارتجال وتبديل في الكتابات السلطانية . قيل فيها : « ان الطائفة الملكية من النصارى لهم السابقة في دينهم . ولهم اصل الرئاسة والنفاسة في تعيينهم . وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم سابقة . ورتبة ملوكهم الرومانية سامقة . وما زالت لهم خدم الدول الى اغراضها متساوقة ومتسابقة[2] » . وفي هذه العبارة الاخيرة اشارة الى اختصاصهم غالباً بخدمة الدواوين وتولي الاعمال الجليلة منذ زمان بني منصور وابن سرجون بدمشق حاضرة الامويين

واول عهد في الاسلام سُجِّل فيه لقب الملكيين العهد الذي كتبه لهم عمر ابن الخطاب حين قدم الى بيت المقدس باستدعاء البطريرك صفرونيوس الدمشقي الذي ابى ان يسلم المدينة الا للخليفة نفسه . فكتب له ولاتباعه من النصارى الملكية كتاب امانة لم يُنقل لنا لفظه لضياعه في جملة ما اودى به الدهر من الآثار الاولى بعد الفتح الاسلامي . ومما فاتنا ايضاً في معناه العهود التي كانت تكتب للنصارى في ايام الامويين والعباسيين . وتتقلّد بها بطاركتهم في كل ولاية لهم . ولا مراء ان لقب « الملكية » هو الذي كان غالباً عليهم وبه

---

١ مروج الذهب بهامش الكامل لابن الاثير ١ : ١٣٣

٢ صبح الاعشى ١١ : ٣٩٢ — ٣٩٣

اشتهروا ايضاً في دولة الايوبيين والمماليك وكان يخص بالذكر في كل التواقيع والمراسيم السلطانية وكل الكتابات الديوانية ورُوزات الجزية والخراج التي تسلّم لخاصتهم وعامتهم وهي كالوصول المعروفة اليوم . ولولا ما انتهى الينا من كتب المصطلح الشريف (protocole) كالتعريف . والتشقيف . واجابة السائل . وصبح الاعشى . لجهلنا ايضاً كل اشارة او ايضاح لحال من احوال الملكيين في اواخر الخلافة العباسية وايام المماليك لفقد كل الحجج والمحفوظات النصرانية في الفِتَن والمِحَن التي كانت تحل بهم من وقت الى آخر وتُنهب فيها او تحرق كل خزائن الكنائس والاديار

ومع ان اسم «الروم» كان مرادفاً للقب الملكية فقلما كان يطلق عليهم في انشاءات الديوان واقوال المؤرخين . ومن الكتابات القليلة التي رواها لنا النساطرة او نقلها القلقشندي قول الديوان في بغداد في عهد مار مكيخا الجاثليق : « اوعز امير المؤمنين بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والاصقاع . ومقدماً عليهم وعلى اليعاقبة والروم الذين في ديار الاسلام مقيمون »

ونظيره في عهد الجاثليق عبد ايشوع المعروف بابن العارض « اوعز امير المؤمنين ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طرًّا . ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقر واليها يطرا [1] »

وفي هذه الزعامة المزعومة والادعاء الهائل بسلطة جاثليق النساطرة على الروم واليعاقبة ايضاً موضع للنظر والريب لا يحققه الواقع . ولا غرابة فيها لان عهود الجثالقة كانت تخط باقلام كتاب الانشاء من النساطرة فكانوا يدسون فيها ما يشاؤون مما تمليه عليهم اطماعهم واحلامهم . وقد اعترف كتاب المجدل ان التوقيع الاول من انشاء ابي نصر بن موصلايا . والثاني بقلم ابي سعد بن موصلايا . وكلاهما من كتاب الديوان النساطرة الذين أكرهوا فيما بعد على انتحال الاسلام

---

١ صبح الاعشى ١٠ : ٢٩٧ – ٢٩٨ واخبار فطاركة كرسي المشرق طبعة رومية ١٣٥

ومن النادر الشاذّ جدًّا ان يذكر اسم الروم وحده ويُعد بعده اسم الملكيين منفصلًا كأن كل فرقة منهما منفردة عن الاخرى مستقلة بنفسها . ولم نجدهما كذلك الا مرة فقط في كل ما طالعناه من اخبار النصارى في الاسلام . وهو قول ابن حمدون في نسخة العهد الذي انشأه لعبد ايشوع الجاثليق : برز الاذن الإمامي الاشرف — لا زالت اوامره بالتوفيق معضودة — بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام . ومن تضمّنه ديار الاسلام . وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد . وكل حاضر في هذه البلاد وباد[1] » فهل يستدل من ذلك انه كان للروم البيزنطيين احياناً كنائس واديار خاصة بهم مميزة عن كنائس البلديين الملكيين واديارهم . ولا بد قبل بتّ الحكم في هذا التميز والانفراد من الوقوف على نسخة اخرى من عهد ابن حمدون او شاهد آخر في معناه

الروم الملكيون

لم نجد هذه التسمية الجامعة بين الموصوف والصفة في شيء من الآثار النصرانية او الاخبار الاسلامية . وقد خلت منها كل التواقيع السلطانية والكتابات الديوانية بالاجمال . وانما كان لقب الملكية او الملكانية وحده هو الاسم الشائع منذ الفتح الاسلامي في القرن الثامن الى اوائل القرن الثامن عشر . ولم يكن قط داع الى تقييد الروم بصفة الملكيين لانهم كلهم كانوا على مذهب واحد ولذلك قال ابو الريحان البيروني « ليس بالروم سوى الملكانية[2] ». وبهذا اللقب وحده اشتهر الخلقيدونيون دون اقل نعت آخر او تمييز . وبه كانوا يُعرفون ويُعرّفون انفسهم ايضاً في كل مؤلفاتهم ومخطوطاتهم كما تشهد بذلك خواتمها والتعليقات التي تقرأ فيها حتى المكتوبة منها باقلام البيزنطيين

---

١ التذكرة الحمدونية . خزانة بريتيش موزيوم Or. 1137 f° 31b

٢ الآثار الباقية ص ٢٨٨ — ٢٨٩

المستعربين . وقد طالعنا منها جملة في الخزائن الشرقية والغربية وخصوصاً بين مخطوطات القبر المقدس في مفتتح القرن الثامن عشر . ولم يبرح لقب الملكية وحده دون اسم الروم هو لقبهم المشهور الى حين انفصال الطائفتين سنة ١٧٢٤ . فانفرد الكاثوليك بهذا النسب العريق في القِدَم والفخر وران هوى التحزب القسطنطيني على اخوانهم المتشيّعين لليونان فجهلوا قدر هذا الاسم الذي كان يعتزّ به اباؤهم واجدادهم وقد تحملوا من اجله اصناف المِحَن والنِقَم واختاروا اسم الارثذكس الذي يشاركهم فيه القبط واليعاقبة والسريان . وغلب في الشام منذ الانفصال اسم الروم فقط على الملكيين الكاثوليك بحلب

وقد يوهم اسم « الروم » ان المتسمين به هم من اصل اغريقي او يوناني . ومما يبعث على هذا الوهم الاصطلاح الشائع بترجمة لفظة الروم بكلمة (Grecs) وهو غلط مشهور لا وجه له الا باعتبار لغة الطقس وصلواته وترتيباته التي جارى بها الملكيون الشرقيون اهل القسطنطينية وهي كانت بيزنطية يونانية . فاسم الروم الملكيين الحديث لا يُراد به ان القوم من جنس يوناني وان كان بعض هذا النسب لا يمتنع في الاطلاق لامتزاج الملكيين في الشرق بالبيزنطيين واليونانيين والآراميين وبينهم بعض الجالية من الارمن والغربيين . ومعلوم ان كلمة « روم » مقتطعة من لفظة « رومانيين » الواردة في التواقيع السلطانية كما سبقت في نسخة القلقشندي . وهي نسبة الى Romanie الاسم الذي أُطلق على القسطنطينية (Nouvelle Rome) لانتقال القياصرة اليها بعد رومية القديمة . ومن ثم كان الاصح والاولى ان يقال في ترجمة Grecs Melkites « الملكيون الرومانيون » دفعاً لكل التباس وسوء تأويل . ولا سبيل اليوم الى رد الغلط الواقع بالترجمة وقد سارت بها الركبان وذاعت في جميع البلدان . ولولا حرص الملكيين اخيراً على دفع كل ظنّة بهم ورغبتهم في التميز فوراً لدى الغربيين والغرباء بصبغتهم الكاثوليكية لكان يكفيهم ان يقتصروا على لقب الملكيين القديم وحده دون اضافة كلمة « الكاثوليك » لانفرادهم اليوم بهذه الكثلكة

وتخلي اخوانهم الارثذكس عنها منذ زهاء ثلاثة قرون بحيث اصبح من اللغو والفضول التنبيه عليها

المشارقة الملكيون

هم ناقلة من عمّان وارض البلقاء رحلوا الى القدس ونزلوا منها في محلة عرفت بهم ودعيت محلة المشارقة لانهم من شرقي القدس[1] . وقد بحثنا طويلاً عن سبب هذا الانتقال وزمانه فيما انتهى الينا من الكتابات العربية فلم نظفر بشيء الى ان وُفقنا للعثور في مطاوي الروايات الغربية على فصل جزيل الفائدة لمؤرخ الصليبيين غليوم الصوري المشهور . وهذا تعريب ما رواه بتاريخ ١١١٥ قال في كلامه على بيت المقدس والملك بودوين الاول :

« لما كان الملك عاقلاً متطلعاً الى كل ما يتعلق برتبته فكر يوماً ان مدينة اورشليم ليست آهلة باقوام يستطيعون ان يدافعوا عنها اذا دعته مصلحة النصرانية الى التغيب عنها فكانت من ثم معرّضة للخروج من يده لخلوها ممن يحمي ابراجها واسوارها وابوابها لاسيما والمسلمون يحومون دائماً حولها كلما بلغهم ان الملك بعيد عنها . فاشتدّ به القلق لذلك واستشار بعض اصحابه كيف يفعل ليعتاض عن المسلمين الذين كانوا فيها قبلاً وقُتلوا باجمعهم لما استولى عليها . وكانت قد بقيت منهم بقية اخرجهم منها الصليبيون لاعتقادهم ان من اقبح العار والرجس ان يقطن الارض المقدسة اقوام لا يؤمنون بالمسيح[2] . فلم يُترك

---

١ إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي طبعة مصر ٣٦٨

٢ لا يُستغرب مثل هذا الاعتقاد في مثل تلك الايام ونظائره شائعة في كل الملل . وفي الاسلام مثل هذا الرأي في وجوب منع النصارى من دخول الحجاز . وعند الشافعي ان الحجاز يتناول مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها . وفي مذهبه ان النصارى يجب ان يمنعوا « ايضاً ركوب بحر الحجاز ويمنعوا المقام في سواحله . وكذلك ان كانت في بحر الحجاز جزائر او جبال تُسكن مُنعوا سكناها لانها من ارض الحجاز » (كتاب اختلاف الفقهاء لابي جعفر محمد بن جرير الطبري) . طبعة ليدن ٢٣٣ — ٢٣٥

احـد منهم بالمدينة . وكانت النصارى فيها ايضاً قليلين جداً لا يكادون يملأون اكبر شوارعها وخصوصاً السوريون منهم لانهم منذ جاءوا اليها تعمدهم اصحابها المسلمون بانواع الاذية والتضييق حتى كرهوا المقام فيها . وكانوا منذ أخذت انطاكية يسترِيبون بهم ويقتلونهم لايسر علة بحجة انهم هم الذين خاطبوا الافرنج وراسلوهم في الحضور لقتال المسلمين

« وبينما كان الملك مشتغل البال بهذا الهم بلغه ان في ما وراء نهر الاردن في البلاد العربية طوائف من النصارى قد اتخذهم الاتراك خَوَلًا وعبيداً فارسل اليهم بالعاجل . ووعدهم اذا شاءوا ان يستوطنوا القدس ان يعطيهم اكثر مما لهم هنالك بحيث يعيشون اعزاء بين اخوانهم في الدين. فلما تسامعوا بهذه الوعود اقبلوا فرحين . وحضر ايضاً من سائر البـلاد الاسلامية اقوام من المسيحيين عندما بلغهم دعاء الملك ووعده باعطاء الارزاق حتى غصّت بهم المدينة وشغلوا كل فراغ فيها . ووفى لهم الملك بالهبات والاقطاعات وكان اعدل ملك واشرفه في اشرف بلد[1] »

وكان اكثر هؤلاء النازحين الى القدس من جهات عمان وحسبان وإربد والصلت والكرك والشوبك وما جاورها من اعمال البلقاء . وقد قدّر خليل الظاهري جملة القرى المضافة اليها في زمانه نيفاً وثلثمائة قرية[2] . وكان يُطلق على كل ما كان منهـا شرقي الاردن اسم البلقاء. ولذلك عُرف القادمون منها بالمشارقة كما تقدم من لفظ القفطي . وكانوا جميعهم من الملكيين . وقد شهد غليوم الصوري ان بيت المقدس لم يكن فيه قبلًا سوى الارمن والروم فيما عدا اللاتين[3] . ولكنه لم ينقل لنا شيئاً من اخبار هؤلاء المشارقة فلا ندري كيف كانت حياتهم بين الافرنج وما كان تأثير هذا الجوار في اخلاقهم وعاداتهم

---

١ *Guillaume de Tyr.* Texte français. Paris 1879, t. I, p. 425-427.

٢ زبدة كشف الممالك . طبعة باريس ٤٦

٣ *Guillaume de Tyr*, t. II, p. 299.

ومآكلهم ومشاربهم وازيائهم ولغتهم . وغاية ما نعلمه من هـذه الازياء ان الاطباء من المشارقة الملكيين كانوا يلبسون جوخـة ملوّطة Marlota-μελωτη وهي شبه جبّة فرنجية وعلى رأسهم كوفية وتخفيفة[1] صغيرة . قال ابن ابي أصيبعة وهو زي اطباء الفرنج[2] . قدم به الى دمشق الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب الملكي الشرقي . وانكره عليه طبيب صلاح الدين اسعد بن المطران الملكي الدمشقي الذي اعتنى بتقديمه والوصاة به

ومما يجدر التحسر عليه انه لم ينتهِ الينا مثال من كتاباتهم وقـد داخلها لا شك كثير من مصطلحات الحضـارة بلغتها الفرنسية القديمة في القرن الثاني عشر . وكانوا قد تلقنوها ودُفعوا اليها بمجاورة الصليبيين ومساكنتهم في المملكة الاورشليمية . وممن اشتهر بخبرته بهـا واتقانها منهم الطبيب المذكور آنفاً موفق الدين بن سقلاب . قال ابن ابي أُصيبعة كان متقناً للسان الرومي ونقلِ معناه الى العربي[3] . وهم يعنون باللسان الرومي لسان الصليبيين الذي كان شائعاً في اماراتهم في الشرق . ولا يخفى مـا فاتنا من الفائدة من ضياع كل آثارهم والفاظهم المولّدة

---

١ هـذه اللفظة لم ترد في المعجمات وهي كما يدل عليه الفعل الذي اشتُقت منه كانت في الاصل عمامة خفيفة ثم اتخذها قرون طوال خرجوا فيها احياناً عن الحد . ابتدأ بها الامراء المقدمون في صفر سنة ٩٠٢/١٤٩٦ واليها اشار بعض الشعراء بقوله :

يقول اميرنا لمّا تبـدّى انا في الحرب ذو القرنين دعني
انا كبش واعدائي نعـاج اذا برزوا فانطحهـا بقرني

(تاريخ مصر لابن اياس ٢ : ٣٠٨)

قال ابن تغري بردي بعـد ان ذكر ان اول من لبس التخافيف الكبار هو الامير تغري بردي المحمودي المتوفى سنة ٨٣٦/١٤٣٢ « صارت التخفيفة الان تُلفّ شبـه الكَلَفتاة حتى تصير كالطبق الهائل وعندي انها غير لائقة » (النجوم الزاهرة طبعة ليدن ٦ : ٨٢٥) اي انها اصبحت « ثقيلة » بعد ان كانت « تخفيفة »

٢ عيون الانباء ٢ : ١٧٧

٣ عيون الانباء ٢ : ٢١٥

وقد اشتهر من هؤلاء المشارقة اطبـاء عُرف منهم موفق الدين يعقوب ونصّ القفطي عـلى انه « كان مقدسياً شرقياً ملكياً » . وكانت وفاته سنة ١٢٢٨/٦٢٥ وله من العمر ٦٧ سنة ولا يُعرف له من الاولاد الا ابنـه سديد الدين ابو منصور

ولا حاجة الى القول ان كل هؤلاء المشارقة الملكيين كانوا من اشد انصار الكثلكة بعد شقاق القسطنطينية . ولما توفي بطريركهم صمعان الذي ذكره غليوم الصوري بالفضل والتقوى انقادوا الى بطريرك لاتيني وحافظوا دون ريب عـلى طقوسهم الشرقية برئاسة اساقفتهم وكهنتهم . ولم يتصل بنا اسم احد منهم في كل مـا طالعناه من كتابات الصليبيين . وروى غليوم الصوري ان البطريرك صمعان كتب مع نخبة من اعيان ملته عدة رسائل في الاستغاثة بالبابا وملوك الفرنج لانقاذهم من الظلم الذي كانوا فيه[1]

ومن مفاخر لقب الملكيين انه كان يُطلق في الاسلام ايضاً عـلى الموارنة وبعض الارمن والفرنج من الصليبيين . واشتهر به البابوات بانهم بطاركة الملكيين . ولكل منهم اخبار وآثار نذكر منها ما يلي :

الموارنة الملكيون

كان لقب الملكيين اول نشأتهِ يطلق على كل اتباع مجمع خلقيدونية فكان من ثم اسم الخلقيدوني مرادفاً للملكي . ومن هذا القبيل كان الموارنة يُعَدّون في جملة الملكية لموافقتهم عـلى المجمع المذكور . وكان لقب الخلقيدونيين عند السريان ينقسم الى قسمين . خلقيدونيون مكسيمية نسبة الى القديس مكسيموس الذي اشتهر بالنضال عن المشيئتين . وخلقيدونيون مارونية اشياع بيت مارون او دير مارون . وفي سنة ١٠٣٩ للیونان (٧٢٦ م) قـام بين هاتين الفئتين

---

١ *Guillaume de Tyr*, t. I, p. 22-24.

نزاع شديد ساق حكايته البطريرك ميخايل الكبير في تاريخه السرياني نقلاً عن البطريرك ديونيسيوس التلمحري المتوفى سنة ٨٤٥ وفي روايته حجة لا تنقض باختصاص هاتين التسميتين بالملكيين والموارنة انصار المجمع الخلقيدوني[١]

ونظير هذه الشهادة في القِدم بل اصرح منها لفظاً واتم بياناً كلام لاسقف تكريت اليعقوبي حبيب ابي رايطة في ردّ له على تاودورس اسقف حران الملكي المعروف بابي قرة وكان معاصراً له بين اواخر القرن الثامن واوائل القرن التاسع . قال بلفظه في مجموع خطي محفوظ في خزانة باريس :

« الذين قبلوا الايمان المُبدَع المصنوع في خلقيدونية هم الملكيون لاتباعهم قول مكسيميانس من بعد قبولهم النفاق الزور الاول المجتمَع عليه المختلَق في خلقيدونيا . وابو قرة العالم ومن رأى رأيه منسوب خلقيدونيًا مكسيمانوسياً . والآخرون الباقون عليه الثابتون على رجاسة المجمع المبدع يتسمون خلقيدونيين مارونيين مخالفين لمكسيميانس[٢] »

ومن هذه الشواهد يتضح غلط علماء الموارنة حين زعموا في جملة ما ذهبوا اليه من الاساطير التي انفردوا بها ان لقب الملكية نشأ بعد المجمع السادس في ايام يسطينيان الاخرم (٦٨٥ — ٦٩٥) وانه لقب حربي مقابل لاسم المردة . ثم ما عتموا بعد ذلك ان نقضوا هذه المزاعم بادعائهم ان اسم الملكية لم يرد في الآثار قبل القرن العاشر . وقد تقدم من الشهادات الاسلامية فضلاً عن اليعقوبية والنسطورية ما ينفي كل هذه الحكايات الواهية . ولا ريب انه لو تنبه علماء الموارنة الى ان لقب الملكيين بمعنى اتباع المجمع الخلقيدوني كان شاملاً لهم ايضاً قبل القرن الثامن لما اقدم احد منهم على هدم بيته القديم بيده والحط من نسبه ومجده

---

١ *Chronique de Michel le Syrien*. Édition et traduction de Y. B. Chabot, t. II, p. 492-496.

(٢) رقم ١٦٩ خزانة باريس . الرسالة الثالثة لابي رايطة التكريتي الى ابي العباس البطريق اشوطا بن سنباط ص ٨٦

الارمن الملكيون

في اواخر القرن الخامس واوائل السادس دفعت السياسة والنفور من البيزنطيين رجال الكنيسة الارمنية الى انتحال البدعة اليعقوبية . وبعد نزاع طويل ومجاذبات عنيفة غلب عليهم في مجمع سنة ٥٠٥ — ٥٠٦ في رئاسة الجاثليق بابجان حب التميز والانفصال فاطرحوا كل صلة لهم بالقسطنطينية وانشأوا لهم شعبة مستقلة عرفت بالكنيسة الغريغورية . ولكن بقي منهم اقوام في ديار الروم وارمينية وجوار بلاد الكرج وبعض الشرق ابوا ان يستبدلوا تقاليدهم القديمة واصرّوا على الثبات في شركة الكنائس الخلقيدونية . وهم الذين عرفوا في الاسلام باسم الاتراد[1] (Dsathis Τζάτοι) وكان لا يزال منهم بقايا متفرقة في البطريركيتين الاورشليمية والانطاكية وفي آسية الصغرى الى اواخر القرن الثامن عشر . اشار اليهم نيكن رئيس دير القديس سمعان العجائبي وعرفهم البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي . وهذا نص ما كتبه في شأنهم نيكن الى كير اقتيموس بطريرك اورشليم (١٠٨٤ ؟) قال في رسالته له :

« طرق مسامعنا خبر ما عن الاتراد المتوحدين الساكنين في بعض المواضع التي عندكم والمؤثرين التقشف والنسك والزهد . ان بعض الناس قد قام عليهم لا شك بمكر شيطاني وفعل ابليس ماقت الصالحات . ويرذلوهم كأنهم ما هم مستقيمو الرأي ولا ارثذكسية ويحزنوهم بكل فن . وهؤلاء ايها السيد فقد قبلوهم البطاركة القديسون السالفون والشيوخ الكرماء ايضاً . وبعضهم اخوة في ديرنا اعني في دير القديس سمعان العجائبي مشاركينا في الصلوات والقداسات . وقد فسحوا لهم اولئك الشيوخ القديسون ان يخالطونا مثل

---

١ للشماس بولس الحلبي تعليق على هامش كتابه تاريخ انطاكية قال فيه :

اعلم يا اخي في اجتيازنا على بلد آكين واشرافنا على اخوتنا المسيحيين ذوي اللسان الارمني المذكورين سالفاً عن معنى هذه الكلمة الاتراد التي ذكرها نيكن انها اسمهم فاجابونا انها الاتراة وتفسيرها الراجعين الينا من الارمن

طالع في تعريف هولاء الارمن : *Analecta Bollandiana*. Bruxelles, t. LIII (1935) p. 253-258, t. LX (1942)p. 122.

ارثذكسيين . ولو لم يبحثوا عن اعتقادهم بحثاً شافياً وعلموا صحة اعتقادهم ما كانوا قبلوهم ولا خالطوهم . ونحن قد طالعنا قدسك بكل ما عرفناه من احوالهم[1] »

ووصفهم البطريرك مكاريوس وصفاً اوسع ايضاحاً واتمّ شرحاً وفيه من الفوائد النادرة ما لا تخفى قيمته التاريخية فقال بحرفه :

« الارمن والسريان انفصلوا عن الكنيسة الجامعة بعد انقضاء المجمع الرابع، وبقي من الارمن طائفة كبيرة لم تتبع الارمن المذكورين في اعتقادهم بالطبيعة والمشيئة الواحدة ولا انفصلوا عنا من الكنيسة . هؤلاي يدعون الذّات ومذكورين عندنا في كتاب الطبّ الروحاني اعني ارثوذكسيين . ويؤيد هذا القول البار نيكن رئيس دير مار سمعان المجائي في رسالته الى بطريرك اورشليم والى اكثر روسا الديارة والكهنة الذين هم هناك يوضح لهم عن هؤلاي باعني اورثوذكسيين ويأمرهم ان يخالطوهم في الصلوات وشركة القداسات . واخبرهم بان كل بطاركة انطاكية وبعض روسا كهنتها شاركوهم بذلك من حيث انهم لم يتبعوا اهل لغتهم لانه كان من هؤلاي الارمن الذّات كهنة ورهبان وكثيرين مقيمين في اورشليم وساير دياراتها التي في المدينة والتي في البراري . وكانوا بعض الكهنة والرهبان الارثوذكسيين يجتنبون مشاركتهم . ولاجل ذلك ارسلوا وسألوا بطرك انطاكية ويكون رئيس دير مار سمعان وسألوهم عن امر هؤلاي لانه قد كان وقتئذ في خارج انطاكية والسويدية وبلد روصص التي تدعى عرصوص وساير تلك النواحي ديارات كثيرة يسكنوها كهنة ورهبان من هؤلاي الذّات الارثوذكسيين . وكان لساعم الارمني وكتبهم وقراءاتهم كانت ارمنية صحيحة اقوالها مثل كتبنا بالتمام لان اعتقادهم كاعتقادنا المستقيم

« وبقي من هؤلاي المذكورين قوماً موجودين في زماننا هذا وهم الذين يسكنون في بلاد جُمُز كَزَك وآكين والكمخ وارزروم وما يليهم . وهم معنا شيئاً واحداً الى الآن . فان شرطونية روسا كهنتهم اخذوها من بطريرك انطاكية . وتشرطن منهم في ايامي (١٦٤٧ — ١٦٧٢) مطرانين وتقيوا (وتوفيوا) وانا الفقير شرطنت عليهم كاهن يدعى لفرنديوس مطراناً عارفاً ثلاث لغات الاولى اللغة الارمنية من والديه . والثانية الرومية . والثالثة التركية . وهي (وبقي) الى الآن رعية . الله يباركهم اناس ورعين جداً[2] »

---

١ كتاب التيبيكون الصغير نقلا عن تاريخ انطاكية للشماس بولس الحلبي

٢ كتاب النحلة خزانة جامعة القديس يوسف بيروت ص ٣ — ٤

ولمكاريوس ايضاً في كتاب آخر له فصل عدد فيه كراسي بطريركية انطاكية وادخل فيها كنائس الارمن الاتراتى في ارزروم ومضافاتها وقال ذاكراً اساقفة زمانه :

«الثامن عشر داود مطران ارزروم وتلك الديار مثل آكين وارزنجان وجُمُزكَزَك والكسخ والدربند وما يليهم من القرى العامرة . لان الفقير طفت فيهم ونظرتهم . وقد كان فيهم من اخوتنا المسيحيين من مدة ستة سبعة آلاف وتسعين للعالم (١٥٨٦ م) مقدار ما في دمشق المحروسة وبلادها وصيدا وبيروت وطرابلوس واللاذقية وبلادهم وحلب وسائر ما يليها من جماعتنا المسيحيين . هكذا كان هناك . لاننا نظرنا اول قسوس جمزكزك رجل شيخ اخبرنا بانه كان في ابرشية جمزكزك وحدها ثمانية واربعين كاهن ومطراخا . فنظرنا قد بقي من كل هؤلاء مقدار عشرين بيت من العلمانيين لا غير . وهكذا صار في غير ابرشية لانهم من قلة من يقتقدهم من البطاركة وروسا الكهنة المعلمين والواعظين انتقلوا الى غير ملة . وبقي من هذه الكثرة الكثيرة الى الآن مقدار خمسمائة بيت الا انهم متفرقين وبعيدين جداً عن بعضهم بعض . فافتقدناهم وعملنا لهم رئيس كهنة واعظ يعرف لساتهم ارمني وهم ارثذوكسيين وبعضهم لساتهم رومي فنسأل الله ان يعمرهم ويبقيهم[1] »

ولا حاجة الى القول ان هؤلاء الارمن الاتراتى كانوا من الملكيين . ولا شك انه كان لهم اشباه ونظراء في سائر البلدان الشرقية ولاسيما في الشام ومصر اغفل المؤرخون التنبيه على نسبتهم في جملة ما اغفلوه من الاوصاف المهمة لكثير مما كان في زمانهم . ونحن على يقين بعد ما مرّ بنا من شهادات نيكن ومكاريوس ان الجالية الارمنية التي استقدمها بهرام الوزير الارمني الى مصر في خلافة الحافظ لدين الله كانوا من الاتراتى . لانه لما مات بهرام (سنة ١١٤٠م) حزن عليه الحافظ حزناً كثيراً بحيث ظهر على القصر خمدة وامر بغلق الدواوين وان لا تفتح ثلاثة ايام واحضر بطرك الملكية بمصر وامره بتجهيزه . فأُخرج عند صلاة الظهر في تابوت عليه الديباج وحوله النصارى يبخرون باللبان والسندروس والعود . وخرج الناس كلهم مشاة بحيث لم يتأخر احد من اعيان الوقت عن

---

١ كتاب اخبار السبعة مجامع المقدسة المسكونية . . . مما اعتنى في تحريره واخراجه من اللغة الرومية الى اللغة العربية الاب الجزيل قدسه البطريرك كير مكاريوس الحلبي بطريرك انطاكية . . . رقم ٥٨ مكتبة الفير المقدس ص ٦٩

جنازته . وخرج الحافظ راكباً بغلة خلف التابوت وعليه عمامة خضراء وثوب اخضر بغير طيلسان . فما زال الناس سائرين والاقسّاء يعلنون بقراءة الانجيل والحافظ على حالته الى دير الخندق بظاهر القاهرة . فنزل الحافظ عن بغلته وجلس على شفير القبر وبكى بكاء شديداً[1]

وهذه فيما نعلم اول مرة يشيع فيها خليفة جنازة نصراني ويذرف الدموع على فقده . ولولا معرفة الحافظ ان بهرام كان ملكياً لما كان احضر بطرك الملكية وامره بتجهيزه . ولبعض الفاطميين بمصر تسامح وترفق بالذميين من رعيتهم لم يعهد قط مثلها من احد من الخلفاء العباسيين

الفرنج الملكيون

كان كتاب الدواوين في الخلافة العباسية ودول الاكراد والمماليك يعدون الفرنج من جملة الملكيين لموافقتهم لهم في الايمان والكثلكة ولا يفرقون بينهم في المذهب . واذا احتاجوا الى تحليف احد الزعماء الصليبيين في بعض الهُدَن ووقوع الصلح في اثناء الحرب الدائمة كانوا يكتبون له نسخة « يمين النصارى الملكانيين » ويطالبونه بالحلف عليها . وفي خزانة باريس مخطوط بعنوان « اجابة السائل الى معرفة الرسائل » غُفل من اسم المؤلف وهو القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود اورد فيه نقلاً عن « التعريف بالمصطلح الشريف » للعمري صورة أيمان النصارى الملكانيين وقال : كنت مع وقوع الصلح مع الفرنج في سنة ٧٧٢ (١٣٧٠ م) رتبت يميناً يحلفون عليها بزيادات عما تضمنته هذه اليمين المذكورة وحلف المذكورون عليها بالابواب الشريفة بحضور التراجمة ومن رُسم بحضورهم . وهي :

« والله والله . . وحق . . وحق . . انني افعل كيت وكيت . ومتى خالفت هذه اليمين التي في عنقي . . . خالفت المجامع التي اجتمعت عليها الاساقف برومية والقسطنطينية . وجحدت مذهب الملكانية . . . وخرجت عن طاعة الباب[2]

---

١ اخبار مصر لابن ميسّر القاهرة ١٩١٩ ص ٨٤

٢ رقم ٤٦٣٧ خزانة باريس ص ١٠٢ — ١٠٣

وكان تحليف الفرنج في المهادنات وغيرها من المصالحات على اثر الوقائع البحرية يتم دائماً بحضور بعض رجال الدين من الملكيين لمشاركة الطائفتين في المعتقد وطاعة الباب . وفي خزانة باريس ايضاً الجزء الثاني من « تشريف الايام والعصور بسيرة الملك المنصور » (قلاوون) وفيه صلح الجَنَوِيَة « ونسخة هدنة مولانا السلطان مع الجنوية » بحضور الاساقفة والرهبان . وعليها خط الاسقف الذي حلّف رسول الجنوية قيل فيه :

« حلف الرسول المذكور البرط اسبينولا (Alberto Spinola) ومن حضر صحبته من القناصلة وتجار الجنوية على نسخة هذه اليمين والفصول المشروحة فيها بتاريخ رابع عشر ايار سنة ستة آلاف وسبعمائة وثمانية وتسعين (لآدم = ١٢٩٠م) بحضوري وانا الحقير بطرس اسقف مصر . والانجيل المطهر بين يدي ويد الرسول . وهو واقف مكشوف الراس . وكتبت ذلك بخط يدي شهادة عليهم بانهم حلفوا باليمين العظيمة على الانجيل والصليب بحضور من يضع خطه من الكهنة والرهبان »

وفي جملة هذه الخطوط اسم ارساني الرئيس بدير القُصَير (بجوار القاهرة) والشماس متى . وميخايل الراهب من دير طور سينا وكلهم من الملكيين . وبآخر النسخة شهادة اخرى على الافرنج للاسقف المذكور قال فيها : « شهدت وانا بطرس اسقف مصر الملكي على جميع ما في هذه الورقة[1] . . . »

البابا بطرك الملكيين

اجمع كل كتاب السرّ بديوان الانشاء[2] في الدولة المصرية على نعت البابا بانه بطرك الملكية وتعريف الملكية بانهم يدينون بطاعة الباب ولا بأس ان نستوفي هنا كل ما وقفنا عليه من اقوالهم وان كان في ايرادها بعض التكرار

---

١ رقم ١٧٤ خزانة باريس ص ٣٣٨ – ٣٤٠ و ٣٤١ – ٣٥٢

٢ Secrétaires de la Chancellerie

قال شهاب الدين العمري في كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف »

« الباب هو رأس الملكانيين » (ص ١٤٦)

وقال في كتابه « مسالك الابصار في ممالك الامصار » :

« جميع ملوك النصرانية الملكية واليعقوبية تهادي صاحب مصر وتراسله لاحتياجها اليه ليمكن المترددين من عندهم من زيارة قمامة (كنيسة القيامة) وبقية مزاراتهم . واليعاقبة اكثر حاجاتهم اليه لمقام بطريركهم عنده فانه لا باب لهم بخلاف الملكية فان لاولئك الباب وهو برومية . قلت والباب هو طاغيتهم العظمى وعندهم ان الحلال ما حلّل والحرام ما حرّم . ولا لاحد مندوحة ان يتأخر عن امره او يتقدم » . (الجزء الثالث ٢٣٢٥ خزانة باريس ١٨٩)

وكان كتاب السرّ اكثر الناس وقوفاً على احوال النصارى وفِرَقهم واوثقهم معرفة بما بين كل فرقة واخرى من دقائق الخلاف في المذاهب والطرائق والعادات لاحتياجهم الى التنبيه على خصائص كل منها في التواقيع والكتابات السلطانية التي كانوا يقلّدون بها البطاركة إقراراً لولايتهم . فكانوا اذا كتبوا « وصية بطريرك النصارى الملكانيين » يقولون في خطابه : « إعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريق الى الباب فتخلق من الاخلاق بكل جميل » . واذا خاطبوا بطريرك اليعاقبة قالوا : يُسقط قولنا « واعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريق الى الباب » اذ كان لا يدين بطاعة **الباب الذي هو رأس الملكانيين**[1] »

ولابن خلدون في مقدمتهِ كلام على فرق النصارى قال في ختامه : « ثم اختصت كل فرقة منهم ببطرك . فبطرك رومية اليوم المسمى بالبابا على رأي الملكية[2] »

وقوله اليوم يتناول زمانه بين ميلاده ووفاته من سنة ١٣٣٢ الى ١٤٠٦ اي الى ما بعد شقاق القسطنطينية بنحو ثلاثة قرون وهو ما يترتب عليه حتماً

---

١ التعريف بالمصطلح الشريف ١٤٤ — ١٤٥ و ١٥٣ — ١٥٤

٢ العبَر طبعة بولاق ١٩٥

ان الملكيين في عهده كانوا يُعَدّون في جملة الكاثوليك لانهم كانوا يدينون بطاعة الباب ولا سيما في الديار الشامية مدة وجود الصليبيين

وقال احمد القلقشندي في كتابه المشهور بصبح الاعشى :

« كرسي رومية قد صار لطائفة الملكانية وبه بطركهم المعبر عنه بالبابا الى الآن » (٥ : ٣٠٨)

وفيه ايضاً :

« رومية مقر پاپيهم الذي هو خليفة النصارى الملكانية واليه مرجعهم في التحليل والتحريم » (٥ : ٤٠٨)

« الپاپ ببائين موحدتين مفخمتين في اللفظ وهو القائم بأمور دين النصارى الملكانية بمدينة رومية » (٥ : ٤٧٢)

وفيه كذلك :

« الملكانية يدينون بطاعة الپاپ وهو بطرك رومية » (١٣ : ٢٧٧)

وفي خزانة باريس مخطوط في مجلد واحد على نمط كتاب التعريف . وصبح الاعشى . غفل من التاريخ واسم المؤلف . ويؤخذ من كلام فيه انه أُلف بعد سنة ٨٤٤ (١٤٤٠ م) وقد اشار غير مرة الى البابا والى النصارى الملكية فقال :

« البابا لقب على البطرك القائم بأمور دين النصارى الملكانية بمدينة رومية[1] »

وفيه ايضاً :

« البابا معناه ابو الاباء لان البترك عندهم اب فعظموه بان جعلوه ابا الاباء . وهو بترك الملكية[2] »

---

١ خزانة باريس رقم ٤٤٣٩ ص ١٥٩

٢ خزانة باريس رقم ٤٤٣٩ ص ١٣٩

وفي كل هذه الاقوال والشهادات السلطانية ادلّة صريحة على ان لقب « الملكي » كان مرادفاً « للكاثوليكي » ولذلك أطلق على البابا والصليبيين وسائر الفرنج

شقاء الملكيين بلقبهم

كان انتساب الملكيين الى الملك مرقيان على اثر مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ سبباً راتباً لاتهامهم بالميل الى الروم والتجسّس لهم ومطالعتهم باخبار الفرس والمسلمين ولذلك كانوا يُرغمون احياناً على العدول عن مذهبهم الخلقيدوني ليدفعوا عن انفسهم كل ظنّة بالتحزب للبيزنطيين اعداء الفرس والعرب وقد سبق الفرسُ العربَ في التضييق على من كان في بلادهم من الملكيين . قال ابن العميد : « في السنة الثالثة للهجرة ضيق كسرى على اهل الرها وطلب منهم ان ينتقلوا عن مذهب الملكية الى اليعقوبية . وذلك لانه كان عنده طبيب اسمه يونان اوهمه انهم ما داموا على مذهب الملكية ربما مالوا الى الروم وكاتبوهم . فعرض عليهم القتل او الانتقال الى مذهب اليعقوبية فانتقلوا باجمعهم[1] »

وفي تاريخ البطريرك ميخايل الكبير السرياني ان كسرى امر بطرد الاساقفة الخلقيدونيين اي الملكيين من كل بلاد ما بين النهرين وسورية . وان ذكرهم زال من حد الفرات الى المشرق[2] . ولم يتمكنوا من العود الى مذهبهم وكنائسهم الا بعد انتصار هرقل على الفرس

وهذه الظنة في الملكيين هي التي بعثت الخلفاء الامويين على منع قيام بطاركة لهم في كراسيهم الثلاثة وجرأت اليعاقبة على التغلب عليهم في مصر والنوبة . قال المقريزي: « وكان الملكية اقاموا سبعاً وتسعين سنة بغير بطرك في مصر من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى خلافة هشام بن عبد الملك . فتغلب اليعاقبة في هذه المدة على جميع كنائس مصر واقاموا بها منهم اساقفة .

١ تاريخ جرجس بن العميد طبعة ليدن سنة ١٦٢٥ ص ١٢

٢ *Chronique de Michel le Syrien*. Traduction Chabot t II, p. 377-378.

وبعث اليهم اهل بلاد النوبة في طلب اساقفة[1] فبعثوا اليهم من اساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك الوقت يعاقبة[2] »

واضاف سعيد بن بطريق « ان مصر علوها وسفلها صارت يعقوبية ما خلا كنيسة ميكائيل التي في قصر الشمع فان الملكية امسكوها وكانوا يصلون فيها وكانوا اذا مات اسقفهم بعثوا الى مطران صور فكان يصلح لهم اسقفاً . ولم تزل حال الملكية بمصر والاسكندرية حتى صار قزما بطريركاً[3] » بالاسكندرية في سنة سبع ومائة (٧٢٥ م) فمضى ومعه هدية الى هشام بن عبد الملك فكتب له برد كنائس الملكية اليهم فاخذ من اليعاقبة كنيسة القيسارية[4] . وعند سعيد بن بطريق ان قزما انما استرد الكنائس بمعونة قوم من الكتاب[5] . وهم لا محالة كتاب دواوين الخراج والجند بدمشق وكان اكثرهم من الملكيين منذ زمان ابن سرجون كاتب معاوية . واليهم ايضاً يجب ان يُعزى فضل قيام البطريرك اسطفانس بانطاكية برضى من هشام بن عبد الملك . وهو اول بطريرك ملكي دخل انطاكية بعد شغورها مدة تنيف على قرن منذ قدوم العرب . ويظهر ان بطاركة بيت المقدس سبقوا بطاركة الاسكندرية وانطاكية في العود الى كراسيهم واستقر اولهم بعد صفرونيوس في زمن الوليد بن عبد الملك وهو البطريرك يوحنا الخامس (٧٠٦ — ٧٣٧) ولا ندري كيف تم لهم هذا السبق

---

١ كان اهل النوبة قبلاً ملكيين يتلون صلواتهم بالرومية . قال شيخ الربوة : النوبة نصارى يعقوبية يقرأون الانجيل بلسان الروم الملكانية ولهم بلادهم كنائس قديمة (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر طبعة بطرسبرج ٢٦٩) وقال ابن حوقل : النوبة والحبشة نصارى يرتسمون مذاهب الروم وقد كانوا قبل الاسلام يتصلون بملكة الروم على المجاورة . (كتاب صورة الارض . ليدن الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ القسم الاول ص ١٠)

٢ الخطط ٢ : ٤٩٣ طبعة بولاق

٣ نظم الجوهر طبعة بيروت ٢ : ٤٥ — ٤٦

٤ الخطط ٢ : ٤٩٣ وفي الاصل المطبوع « كنيسة البشارة . واقاموا سبعاً وسبعين سنة » وكلاهما غلط والقيسارية هي الكنيسة المشهورة Kaisareion

٥ نظم الجوهر ٢ : ٤٥ — ٤٦

وكانت بدعة استئصال الايقونات قد ثار ثائرها في القسطنطينية وانتدب لانكارها ومقاومتها القديس يوحنا الدمشقي ابن سرجون ابن منصور وكتب مقالاته الطائرة الصيت في نقضها وتحريمها وتبعه في مخالفة ملك الروم ولعنه من اجلها كل الملكيين في البطاريركيات الثلاث وشاع هذا الخلاف الطارئ بين الروم البيزنطيين والروم البلديين فكان شافعاً عند هشام بن عبد الملك وضعفت ريبته في رعيته من الروم ورخص لهم بالرجوع الى حقوقهم القديمة باقامة بطاركة لهم من الملكيين البلديين ولعل هذا اوجه ما يُعلَّل به هذا الرضى من الامويين بعد الامتناع الطويل

ولكن هذا الحق الذي اقرّ به الخلفاء اخيراً للملكيين لم يدفع عنهم عادية الظنون في استمرار ميلهم وضلعهم مع القياصرة . وبقيت هذه التهمة شاملة متلبسة بهم الى سقوط دولة المماليك في القرن السادس عشر فكانت تسجّل عليهم في العهود السلطانية التي كانت تسلّم لكل بطريرك منهم بعد ان يوصّى فيها « ان لا يؤوي اليه احد من الغرباء القادمين عليه تكون فيه ريبة . ولا يكتم ما اطلع عليه من ذلك عن المسامع الشريفة السلطانية . ولا يخفي كتاباً يرد عليه من احد الملوك او يكتب له جواباً . ويتجنّب البحر وما يرد منه من مظانّ الرِيَب[1] » وهو ما ينمّ عن قلة الثقة بهم والظن انهم عيون للقياصرة في ديار الاسلام على حين كانت تواقيع بطاركة اليعاقبة خالية من هذا التعريض ناطقة بانه كان للاقباط « بالديار المصرية من حين الفتح عهد وذمام . ووصية سابقة من سيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام[2] » اشارة الى الحديث القائل فيما رُوي « استوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمةً ورحماً »

ونظراً لهذه الحظوة التي كانت لليعاقبة في مصر لم يتعذّر عليهم الاحتفاظ بما في ايديهم من كنائس الملكيين رغم امر هشام بن عبد الملك بردّها . وقد

---

١ صبح الاعشى ١١ : ١٠٠

٢ صبح الاعشى ١١ : ٣٩٦

سبق من قول المقريزي انهم لم ياخذوا من اليعاقبة الا كنيسة القيسارية وهي الكنيسة الجامعة في الاسكندرية . وبقيت الكنائس الاخرى في حوزة الاقباط الى حين استُدعي بطريرك الملكيين بالاسكندرية بليطيان (Politien) لمعالجة احدى حظايا هارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩) وقد عجز عنها اطباء بغداد « وكان حاذقاً بالطب فلما عوفيت كتب له برد كنائس الملكية التي تغلبت عليها اليعاقبة بمصر فاستردها منهم[1] »

ولا يخلو ان يكون حديث القبط والاستيصاء بهم خبراً حديثاً مختلقاً في جملة الاحاديث العديدة التي وضعت على لسان الرسول وقد انفرد اليعاقبة والنساطرة بين فرق النصارى بافترائه مثل هذه الشبهات لاكتساب الدالة بها لدى المسلمين والتقرب من قلوبهم بعد ان كانوا قبل الفتح مبغَّضين لدى الروم البيزنطيين مضيَّقاً عليهم في كل انحاء مملكة القياصرة يتحملون من اجل شقاقهم ورفضهم احكام المجامع المقدسة اصناف المكاره من السجن والنفي والتشريد والتعذيب. فكانت قلوبهم مفعمة حقداً وغضباً على الروم عامة . ولذلك لما قدم العرب للاستيلاء على الشام ومصر وجدوا في النساطرة وفي اليعاقبة من القبط والسريان اكبر الاعوان لهم واسرعهم الى مساعدتهم ومؤونتهم ودلالتهم على عورات العدو لتمكينهم من فتح المدن والامصار حباً بالانتقام من مظالم الروم . ومن اظهر الادلة على مقدار الفرح الذي شملهم لقدوم المسلمين وانتصارهم العاجل ما رواه البلاذري ان اهل شيزر ومعرة النعمان خرجوا اليهم « وهم يكفّرون ومعهم المقلِّسون[2] » اي تلقوهم وهم واضعون ايديهم على صدورهم يطأطئون الرؤوس تعظيماً لهم وبينهم جماعة من المغنّين يضربون بالدفوف سروراً وابتهاجاً

ومن راجع تواريخ هذه الفِرَق واخبار بطاركتهم يقف فيها على عدة شهادات

---

١ الخطط ٢ : ٤٩٣ وعيون الانباء لابن ابي أصيبعة (٢ : ٨٢ — ٨٣) ونظم الجوهر لسعيد بن بطريق (٢ : ٥١ — ٥٢)

٢ فتوح البلدان طبعة اوربة ١٣١

ناطقة بتحزبهم للاسلام وانتصارهم له على النصرانية البيزنطية وقد بالغ النساطرة خصوصاً في وصف صداقتهم للرسول العربي حتى زعموا في ترجمة البطريرك يشوعيَهب انه كان «يكاتب صاحب شريعة الاسلام ويهدي له ويسأله الوصاة برعيته في نواحيه» وقالوا في الكلام على البطريرك مارائمه «عُقدت له الفطركة لمعاونته صاحب جيش المسلمين في فتح الموصل وإخراجه البرّ لهم[1]. ولا يخفى ما في هذه المزاعم من الاقرار بالخيانة للنصرانية»

ونقل مثل ذلك البطريرك ميخائيل الكبير اليعقوبي في الكلام على البطريرك بنيامين القبطي حين حاصر العرب الاسكندرية فقال:

«مضى الى العرب ووعدهم ان يسلم لهم الاسكندرية اذا ضمنوا له طرد كورس (بطريرك الروم) وتسليم الكنائس له. فلما استوثق منهم وحالفوا له رجع واخبر اشياعه فسلموا الاسكندرية للعرب ... واستولى على الكنائس. ومنذ ذلك العهد الى اليوم ضعف الخلقيدونيون (الملكيون) في الاسكندرية ومصر ولم يبقَ منهم الا فئة قليلة. وانفرد الارتدكس (اليعاقبة) بالبيع والاديار الى زماننا هذا[2]»

وقد أيّد المقريزي كل ذلك في جملة اخباره عن القبط والملكيين وقال:

«لما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم فقاتلهم المسلمون وغلبوهم. فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها واقرهم على ما بايديهم من الاراضي وغيرها وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى واخرجهم من ارض مصر. وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة اماناً في سنة عشرين من الهجرة فسرّه ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته بعد ما غاب عنه ثلاث

---

١ اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان. طبعة رومية ٦٢

٢ *Chronique de Michel le Syrien.* Édition et traduction Y. B. Chabot t. II, p. 433.

عشرة سنة منها في ملك فارس لمصر عشر سنين وباقيها بعد قدوم هرقل الى مصر. فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر وديارتها كلها وانفردوا بها دون الملكية[1]»

ومما سبق يسوغ الاستدلال ان انتصار العرب على الروم وفتحهم مدن الشام ومصر خصوصاً لم يكن بفضل شجاعة العرب فقط وضعف الروم وتبدد شملهم بل بفضل معونة بعض النصارى ايضاً وخيانتهم التي شهدوا بها على نفوسهم دون اقل خجل او انقباض

ومن البديهي في مثل هذه الحال ان ينظر العرب الى اليعاقبة والنساطرة بعين غير التي كانوا ينظرون بها الى الملكيين وهم اشياع اعدائهم بالامس ولا يزال لقبهم ناطقاً بالانتماء اليهم فكانوا من ثم يعتقدون فيهم قلة المناصحة والبغض للعرب ولذلك قال شاعرهم عمرو بن الاهتم :

ان تبغضونا فان الروم اصلكمُ والروم لا تملك البغضاء للعرب[2]

واستقرّ هذا الاعتقاد في نفوس العرب ورسخ في اذهانهم لكثرة الحروب واتصالها بينهم وبين ملوك الروم فكانوا لذلك يعدون الملكيين المنتسبين للروم حيثما كانوا « حرباً لهم » كما جاء في ترجمة ابرهيم جاثليق النساطرة في بغداد المتوفى سنة ٣٢٥ للهجرة (٩٣٦ م) وكان عدا على يوحنا جاثليق الملكيين فيها واشتد الخصام بينهما في حضرة علي بن عيسى وزير الخليفة . وضجر علي بن عيسى من استطالة جاثليق النساطرة وسلاطته وقال : لا فرق بينكما عندي . فقال له ابن المطلب الهاشمي احد الحضور بعد ان استوثق سراً من مكافأة الجاثليق النسطوري له : أعيذ بالله الوزير ان يتصور هذا . « النسطور سِلْم لنا والملكية حرب » فكيف تسوّي بينهم . وما لبث النسطوري ان نال ما احب وخرج مكرماً وفرّق مالاً وامامه قطعة من العسكر[3]

---

١ الخطط ٢ : ٢٩٣

٢ الاغاني لابي الفرج الاصبهاني طبعة بولاق ٤ : ١٠

٣ اخبار فطاركة المشرق من كتاب المجدل . طبعة رومية ٩٢ – ٩٣

وانما بلغ النساطرة هذا المبلغ من النفوذ والتسلط بكثرة من كان منهم في العراق وبلاد فارس وان معظم كتاب الخلفاء العباسيين واطبائهم خصوصاً كانوا منهم بخلاف الدولة الاموية بدمشق فان اغلب عمالها كانوا من الملكيين ولذلك لم يستطع اليعاقبة في الشام ان يتفوّقوا عليهم كثيراً او يبلغوا اربهم من انتقاصهم والانتقام منهم . وغاية ما امتازوا به عليهم اطلاق الخلفاء المروانيين لهم اختيار بطاركتهم من رجال كنيستهم واختصاص هؤلاء البطاركة البلديين بالكرامة والحظوة في حين كان الملكيون محرومين من هذا الحق حذراً من قيام الغرباء بينهم . ولما عقد اليعاقبة البطركية لاسقف افامية مار الياس وفد على الوليد بن عبد الملك فاحسن لقاءه وزاد في تشريفه[1] بينما كان يغتصب الملكيين كنيستهم الكبرى بدمشق ليحوّلها جامعاً اموياً . وفي السنة الاولى من خلافة يزيد بن عبد الملك أذِن للبطريرك المذكور مار الياس فدخل انطاكية بموكب حافل من الرهبان والاتباع على غاية من الظهور والتعاظم وذلك بعد مضي مائتين وثلاث سنوات من خروج ساويرس رأس شيعتهم منها . قال ديونسيوس التلمحري فيما نقله عنه البطريرك ميخايل الكبير « ومنذ ذلك الحين لم يستطع احد من بطاركتنا نحن الارتدكس ان يطأ ارض انطاكية قبل مار الياس دخلها في هذا الزمن من دولة العرب[2] »

ولم يكن انتماء الملكيين لملك الروم ذنباً لهم في الاسلام يُحمّلون من اجله ضروب المغارم والشدائد بل كان ايضاً حجة بايدي خصومهم من النساطرة واليعاقبة يُدلون بها للوشاية بهم كلما تهيأت الفرصة لإفساد قلوب الولاة عليهم توصلاً الى اذيتهم والنكاية بهم . وقد اقرّ كاتب « سِيَر البطاركة » الاقباط بواقعة من هذا القبيل ننقلها عنه مثالاً مما غاب عنا ذكره من دسائسهم في اثناء الدول الاسلامية . قال :

---

١ *Chronique de Michel le Syrien*, t. II, p. 480.

٢ *Chronique de Michel le Syrien*, t. II, p. 490.

لما تنيّح الاب انبا خايال (٢٨٧ للهجرة – ٩٠٠ للميلاد) اقاموا زمانا ولم يرسموا بطركا فرسموا الملكية بطركا لهم ونجحوا على الارتد كسبين وتكبروا كثيرا . فلما اتصل الخبر بأبا يخوم (اسقف طحا) صعب عليه هذا الامر فنهض للحال واخذ من بلاده هدايا كثيرة وفواكه غريبة في غير وقتها وحملها الى الامير . ففرح به وسأله عن اخبار الغرب (اخبار الفاطميين قبل قدومهم الى مصر) فقال له الاسقف : لا تخاف يا مولاي الامير فليس الا الخير . واما لا يجوز لي ان اخفي عنك شي مما يكون فيه ربح لهذه المملكة . وذلك اني فارقت حضرتك فاتصل بي ان الملكية المخالفين لنا الذين هم الروم قد اقاموا لهم بطركاً فخفت ان يكون عينا لملك الروم هاهنا فتأتي في المراكب الى الاسكندرية ولهذا رايت ان اعلمك ذلك » فكتب الى والي الاسكندرية وامر ان يُقبض على بطرك الاسكندرية الغير بطرك وان يقطع اصبعيه الذي يصلب بها من يده اليمنى ووجد عنده ستة اساقفة من ملته المخالفة فمزّق عليهم ثيابهم مع بطركهم[٢] »

---

١ انما طلب اسقف طحا قطع اصبعي البطريرك لان الاقباط يعتقدون ان الملكيين كانوا يصلبون باصبعين فقط اشارة الى معتقدهم بالطبيعتين والمشيئتين خلافاً للقبط فانهم يرتسمون باصبع واحدة

وقد سكت كتاب سيَر البطاركة عن اسم البطريرك الملكيين واسم امير مصر وقتئذ . وفي خطط المقريزي انه لما مات انبا ميخايل (او خايال) « شغر كرسي الاسكندرية بعده من البطاركة اربع عشرة سنة » واتفق في اثنائها ان البطريرك الملكي ميخايل الثاني مات سنة ٢٩٠ للهجرة (٩٠٢ م) وبقي بعده كرسي الاسكندرية خالياً بغير بطرك ايضاً اربع سنين . وفي سنة ٢٩٣ اختير لخلافته اخريسطودولس من اهل حلب وتولى الصلاة عليه ايليا بن منصور بطريرك بيت المقدس في ١٩ جمادى الآخرة سنة ٢٩٤ فانكر ذلك اهل الاسكندرية ولم يرضوا به الا بعد ان اعادوا عليه صلاة البطركية لاربع خلون من شهر رمضان من السنة نفسها (١٨ حزيران – يونيو ٩٠٧) كما جاء في تاريخ سعيد بن بطريق (٢ : ٧٥)

ولا ريب ان هذا البطريرك هو الذي غضب عليه اسقف طحا وسعى به لدى الامير لجرأته على تقلد البطريركية في حين كان الكرسي القبطي فارغاً . وهذه السعاية مثل من الغوائل التي لم ينفك الاقباط يتفوهها للملكيين في ديار مصر ايام تمكنهم من خدمة الدواوين وحظوتهم لدى الامراء والملوك . وكان امير مصر في ذلك الحين عيسى النوشري وليها سنة ٢٩٢ وتوفي عنها سنة ٢٩٧ فهو صاحب الامر الجائر بقطع اصبعي البطريرك المظلوم

وهذه النكبة اذا كانت صحيحة لا مبالغة فيها – ولا شيء يمنع احتمالها في مثل تلك الايام ومن اشباه اولئك الاقوام – تكون حرية ان تسجّل في حياة البطريرك اخريسطودولس الحلبي . وهذه اول مرة ينبّه عليها في تاريخ بطاركة الاسكندرية

٢ خزانة باريس رقم ٣٠٢ ص ٦٥

ومن هذه النادرة الغريبة يتضح جلياً ان لقب الملكي بنسبتهِ لقيصر البيزنطيين كان داعياً للاعداء من نصارى الشرق والظلّام من الولاة ورجال الدولة الى اساءة الرأي في البطاركة الملكيين واعتبارهم دائماً عيوناً وجواسيس للقسطنطينية يُفضون اليها باخبار الاسلام . ولذلك كان الامراء يتحينون الفرص للفتك بمن كانوا يعدونهم خَونة للدولة . واكثر ما كانت تحلّ نِقمتهم بكنائس الملكيين وديراتهم ومقتنياتها طمعاً بما اجتمع فيها من الاواني والذخائر . وكان اعوان السلطان ورجال العامة اذا بلغهم خبر انتصار للروم او مفاجأة لهم بالغارة على ديار الخلفاء او تخيلوا بالنصارى شماتة ببعض مصائب الاسلام او طمحوا بابصارهم الى ما في ايدي الملكيين من الاموال والارزاق . يعدون للحال على كنائسهم ومنازلهم قبل سواها فيثأرون منهم ويوقعون بها وبهم اصناف الاذية والبلاء فضلاً عما كان ينالها وينالهم من الاضرار والمكاره في جملة المِحَن التي كانت من حين الى آخر تحل بالنصارى عموماً في ديار الاسلام . وقد جمعنا في ما يلي امثلة من هذه الشدائد والمظالم التي لحقت بالملكيين وكنائسهم في عهد العباسيين والفاطميين والايوبيين والمماليك . ننقلها كما وقفنا على رواياتها بالحرف مع الاشارة الى مصادرها . وهي بَرض من عِدّ مما فات المؤرخين ذكره من احوال النصارى ونكباتهم في الاسلام دون تمييز بين فرقة واخرى بينهم . وكثيراً ما كانت مصيبة الفرقة الواحدة داعية الى العداء على الفرق الاخرى بالاجمال لغلبة التعصب وحب السلب والنهب على العامة والرعاع

امثلة من نكبات الملكيين

لانحيازهم الى ملوك الروم

خلافة المهدي سنة ٧٥٧ — ٧٨٥ م

كان المهدي انفذ جيوشاً الى الروم فاخرج اليه لاون (ملك الروم) بطريقين من الوجوه وكسروا عسكره وسبوهم فاغاظه ذلك . فهدم البِيَع في سائر النواحي وامر ان لا يقتني النصارى عبيداً وانفذ ابنه هارون ففتح بعد سنة حصناً عظيماً من حصون الروم وسبى سبياً كثيراً . وعاد في السنة السادسة من خلافة المهدي فزال ما النصارى فيه

(المجدل لماري بن سليمان . اخبار فطاركة كرسي المشرق ٧٤)

خلافة المقتدر بالله سنة ٩٠٨ — ٩٣٢ م

ثار المسلمون بالرملة فهدموا كنيستين للملكية : كنيسة مار قزماس وكنيسة مار كورقس وهدموا كنيسة عسقلان وقيسارية . وذلك في جمادى الآخرة سنة احدى عشر وثلثمائة (٩٢٣ م) فرفع النصارى ذلك الى المقتدر فامرهم ان يبنوا ما هُدم لهم

وثار المسلمون بتنيس وهدموا كنيسة للملكية خارج حصن تنيس تسمى (تودور ؟) في رجب . فلما قرب تمامها ثار المسلمون ثانية فهدموا ما بنوه واحرقوه بالنار . ثم ان السلطان اعان النصارى حتى بنوا الكنيسة

(نظم الجوهر لسعيد بن بطريق . طبعة بيروت ٢ : ٨٢)

وثار المسلمون بدمشق فهدموا كنيسة مرتمريم الكاثوليكية (اي الكاتدرائية الجامعة) وكانت كنيسة عظيمة كبيرة حسنة أُنفق فيها مئتا الف دينار ونُهب ما كان فيها من آنية وحلى وستور . ونهبت ديارات وخاصة دير النساء الذي

كان جانب الكنيسة . وشعثوا كنائس كثيرة للملكية . وهدموا كنيسة النسطورية . وذلك في نصف رجب سنة اثنتي عشرة وثلثمائة . (٩٢٤ م) وكان علي بن عيسى (الوزير السابق) في مكة . فكتب اليه الوزير عبد الله (بن خاقان) ان يصير الى مصر ويكشف احوالها . فدخل علي بن عيسى مصر مستهل رجب . فاخذ الرهبان والاساقفة وطلب منهم الجزية من جميع الرهبان والضعفاء والمساكين . ومن جميع الديارات التي باسفل ارض الصعيد ومن الاساقفة والرهبان الذين في دير مينا . فخرج من الرهبان اناس الى العراق واستغاثوا الى المقتدر فكتب لهم الا يؤخذ منهم جزية وان تجري امورهم على ما كانت عليه قديماً (نظم الجوهر ٢ : ٨٣)

خلافة الراضي بالله سنة ٩٣٤ — ٩٤٠ م

في سنة خمس وعشرين وثلثمائة (٩٣٧ م) ثار المسلمون بالقدس واحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخربوا منها ما قدروا عليه

وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب (سنة ٣٢٨ = ٩٣٩ م) مات سعيد بن بطريق بطرك الاسكندرية على الملكية . . . فبعث الامير ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد ابا الحسن من قواده في طائفة من الجند الى مدينة تنيس حتى ختم على كنائس الملكية واحضر آلاتها الى الفسطاط وكانت كثيرة جداً . فافتكها الاسقف بخمسة آلاف دينار وباعوا فيها من وقف الكنائس

وثار المسلمون ايضا بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا ما فيها واعانهم اليهود حتى احرقوها . ففرّ اسقف عسقلان الى الرملة واقام بها حتى مات (الخطط للمقريزي طبعة بولاق ٢ : ٤٩٥)

خلافة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٩٥٢ — ٩٧٥ م

ورحل الدومستيقوس (لاون بن برداس الفوقاس) الى ناحية الشام وقتل من اهله عدداً متوافراً واخرب حصوناً كثيرة واسر محمد بن ناصر الدولة .

ووردت الاخبار بذلك الى مصر يوم الاحد لثلاث خلون من المحرم سنة تسع واربعين وثلثمائة (٩٦٠م) فشغب عوام مصر شغباً عظيماً واغلق النصارى الكنائس في ذلك اليوم واصبح الرعاع يوم الاثنين غدوة وقصدوا كنيسة ميخايل الملاك التي للملكية في قصر الشمع وكسروا ابوابها وهتكوا الكنيسة ونهبوا ما ظفروا به منها . ورجعوا الى كنيسة ابي قير التي لليعقوبية بقصر الشمع ففعلوا بها مثل ذلك . فلما كان يوم الجمعة بعد صلاة الظهر لثانٍ خلون من المحرم وقعت صيحة في الجامع العتيق ورجفة فنُهب عالم من الناس وأُخذت ثيابهم . وعاد الرعاع الى كنيسة ميخايل وكسرت ابوابها ايضاً ونهبت الكنيسة وشُعِثت . وكذلك ايضاً كنيسة كانت لليعقوبية برأس الخليج على اسم السيدة

(كتاب الذيل ليحي بن سعيد الانطاكي طبعة بيروت ١١٦)

وغزا نقفور دمستيقوس المغرب (Nicéphore Phocas) الى جزيرة اقريطش في اسطول ونازلها في النصف من المحرم سنة خمسين وثلثمائة (٩٦١ م) وفتحها يوم الخميس وخرب ما فيها من المساجد وسبى من اهلها خلقاً كثيراً . وورد الخبر بذلك الى مصر يوم الجمعة ليلة سبت اللعازر فتجمع في الحال خلق من رعاع اهل مصر وقصدوا ايضاً كنيسة ميخايل التي للملكية بقصر الشمع فشعثوها واخربوها خراباً عظيماً . ونهبوا كنيستَي النسطورية وكنيسة مار تادرس (للملكية) وكنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطريرك . وشعثوها ايضاً وكانت يومئذ في يد اليعقوبية . . . ولما تزايدت الفتنة في ذلك اليوم ركب احد القواد الاخشيدية في جماعة من الغلمان وفرق الجموع وسكّن الفتنة . فاما كنيسة ميخايل فبقيت مغلقة خراباً مدة طويلة . . . ولم تزل مغلقة وابوابها مطمورة بالتراب الى ان صُيّر ايليا بطريركاً على الاسكندرية فلم يزل يتلطف ويجتهد الى ان فتحها لان المسلمين كانوا قد منعوا من فتحها وقلع الردم وعمر ما امكنه منها ورجع الملكية يصلون فيها

(كتاب الذيل ١١٧-١١٨)

خلافة العزيز بالله الفاطمي سنة ٩٧٥–٩٩٦ م

قال المُسَبِّحي : فيها (في سنة ٣٨٦ – ٩٩٦ م) وقعت نار في الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الآخر فاحرقت خمس عُشاريات واتت على جميع ما في الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبقَ منه غير ستة مراكب فارغة لا شيء فيها . فحمل البحريون السلاح واتهموا الروم النصارى وكانوا مقيمين بدار مانك بجوار الصناعة التي بالمقس وحملوا على الروم هم وجماعة من العامة معهم فنهبوا امتعة الروم وقتلوا منهم مئة رجل وسبعة رجال . وطرحوا جثثهم في الطرقات وأخذ من بقي فحبس بصناعة المقس

(الخطط للمقريزي ٢ : ١٩٥–١٩٦)

واتهم الرعية بحريق الاسطول تجار الروم والقلافطة الواردين بالبضائع الى مصر فثار عليهم الرعية والمغاربة وقتلوا منهم مئة وستين رجلًا ونهبوا دار مانك التي بالرفائين بمصر وكان فيها مال عظيم لهؤلاء الروم لانهم كانوا نازلين فيها : ونهبت كنيسة ميخايل التي للملكية بقصر الشمع وأُخذ منها رحل وآنية ذهب وفضة ما يساوي جملة كثيرة وعُشّت الكنيسة . ونهبت كنيسة النسطورية وجرح اسقف بها لهم يسمى يوسف الشيزري جراحات مات منها

(كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ١٧٨–١٧٩)

خلافة الحاكم بامر الله سنة ٩٩٦ – ١٠٢٠ م

كان النصارى اليعقوبية قد شرعوا في تجديد كنيسة قديمة مندرسة بظاهر مصر في الموضع المعروف براشدة . فثار قوم من المسلمين فهدموا ما بُني . وانشأ الحاكم مكانها مسجداً عظيماً جامعاً . وهدموا ايضاً كنيستين كانتا في جواره احداهما لليعقوبية والاخرى للنسطورية وبناهما مسجدين آخرين . وكان للملكية الروم حارة بالقاهرة يسكنون بها فأُخرجوا منها وهدم ما كان لهم فيها من المنازل مع كنيستين كانتا بها وعملت جميع الحارة مسجداً واحداً سماه

الازهر وحوّل الروم الى الموضع المعروف بالحمراء . وعملوا لهم بها حارة وانشأوا بها ثلاث كنائس عوضاً عن الكنائس التي هدمت لهم في تلك الحارة
(كتاب الذيل ١٨٦)

وكتب الحاكم في هذه السنة (٣٩٩ = ١٠٠٨ م) الى دمشق بهدم كنيسة السيدة الكاثوليكي (كنيسة مريم للملكيين) وهي كبيرة حسنة فهدمت . . . وهدم كنيسة القنطرة بمصر (للملكيين) يوم الاحد في ذي الحجة من السنة ونهب ما فيها من الرحالات . وكان بها مقابر كثيرة ومدافن للنصارى ففتح السودان والعبيد والرعاع جميعها ونبشوا الموتى المدفونين فيها وطرحت عظامهم فاكلت الكلاب لحم من كان قريب العهد منهم . وكان بجوار هذه الكنيسة بيعة لليعقوبية على اسم مار قزما . فامتدت اليد اليها ايضاً ونُقضت

وكتب الحاكم الى الشام الى ياروخ بالرملة بهدم كنيسة القيامة وازالة اعلامها وتقضِي قلع آثارها المكرمة . فانفذ ياروخ يوسف ابنه والحسين بن طاهر الوزّان وانفذ معهما ابا الفوارس الضيف واحتاطوا على ما فيها من الآلات وأُنزلت بأسرها الى القرار الا ما تعذر هدمه واستصعب قلعه . وهدم الاقرانيون وكنيسة ماري قسطنطين وسائر ما اشتمل عليه حدودها واستقصى في ازالة الآثار المقدسة . وجهد ابن طاهر في قلع المقبرة المقدسة ومحق اثرها فنقر اكثرها وقلعه . وكان في الجوار منها دير للنساء يعرف بدير السرب (؟) فهدم ايضاً . وكان ابتداء نقضها يوم الثلاثا لخمس خلون من صفر سنة اربعمائة (١٠٠٩ م) وتركت اليد على سائر املاكها واوقافها وقبض على جميع آلاتها وصياغتها
(كتاب الذيل ١٩٤-١٩٦)

خلافة الظاهر لاعزاز دين الله سنة ١٠٢٠ — ١٠٣٥ م

وشرع الظاهر في هذه السنة (٤٢٤ = ١٠٣٢) في بناء سور مدينة القدس الشريف بعد بناء سور الرملة . وخرب المتولون لعمله كنائس كثيرة في ظاهر المدينة واخذت حجارتها وعولوا على نقض كنيسة صهيون وكنائس غيرها ايضاً

ليحملوا حجارتها الى السور . فحدث في البلد زلزلة مهولة لم يشاهد ولا سمع بمثلها آخر نهار الخميس لعشر خلون من صفر سنة خمس وعشرين واربعمائة (١٠٣٣ م)
(كتاب الذيل ٢٧٢)

خلافة المستنصر بالله سنة ١٠٣٦ — ١٠٩٤ م

في سنة تسع وعشرين واربعمائة (١٠٣٧ م) هادن المستنصر بالله صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه إطلاق خمسة آلاف اسير وشرط الروم عليه ان يعمروا بيعة قمامة (القيامة) فارسل الملك من عمرها واخرج عليها مالاً جزيلاً
(الكامل لابن الاثير ٩ : ١٥٩)

في سنة سبع واربعين واربعمائة (١٠٥٥ م) بعث المستنصر بالله ابا عبدالله القضاعي برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغريل (طغرلبك) السلجوقي من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بان يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية . فأذن له في ذلك . فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بامر الله العباسي . فبعث القاضي القضاعي الى المستنصر يخبره بذلك فارسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شيئاً كثيراً من اموال النصارى ففسد حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة
(الخطط للمقريزي ١ : ٣٣٥)

دولة الملك الكامل ابن الملك العادل ١٢١٨ — ١٢٣٨ م

سنة ست عشرة وستمائة (١٢١٩ م) ورد امر السلطان (الملك الكامل) باخراج نصف اهل مصر والقاهرة الى القتال (قتال الفرنج على دمياط) اختياراً او اضطراراً ... فاما مصر فان واليها كان منقاداً بالفقهاء . فاحضر اقساً الكنائس التي للقبط والملكية وقال لهم : تخرجون وتهددهم وقال انتم تخرجون مع المسلمين وما تصلون معهم الى باب المدينة حتى يقتلوكم وما يقدر احد يقول لهم في هذا الوقت شيئاً . وكان الميل في القول بالاكثر على الملكية

لانهم كانوا يشنعون عليهم بانهم يحبون الافرنج وانهم على سنّتهم في تربية الشعر وترك الختان وما شابهه . فعمل فيهم الخوف واستعجل واحد منهم وقال : عندنا الف دينار . فقالوا : مبارك قوموا جيبوا الف دينار . وقالوا للحاضرين من قسوس القبط : هؤلاء منكم بالقيراط . نحن نجعلهم بالعشر . اعطونا عشرة آلاف دينار . وآخر الحال أنهم قرروا عليهم ثلثة آلاف دينار وخرج جميعهم بالترسيم وعلقت سلبة في كنيسة المعلقة وسلبة في كنيسة الملكية وسلبة في كنيسة اليهود لان الآخر كانوا وزنوا في المرة الاولى — وقتما طلب من النصارى شي — خمس ماية دينار وقرروا عليهم في هذه النوبة سبعماية دينار . وصار الضرب في الناس والتعليق والترسيم والهوان . وكان القسّاهم الذين يخرجون اسماء الناس ويقطعون عليهم القطايع . وكانت ايام الصوم المقدس وكانت اياماً صعبة شديدة واضطهاد عظيم . فاما الملكية فانهم جبوا من شعبهم الذي قدروا عليه وبقيت عليهم جملة فاخرجوا الآنية الفضة الذي لهم ورهنوها عند واحد من المسلمين فقيه يقال له الفقيه نصر على مايتي دينار بمايتين وخمسين دينار واوردوها

(الجزء الثالث من سِيَر الاباء البطاركة رقم ٣٠٢ خزانة باريس ٣٢٩)

في سنة ست وعشرين وستمائة (١٢٢٨ م) أُهين جماعة من المتجبرين . ففي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة عُلّق هبة الله النصراني (الملكي) الذي كان متولي خزانة السلطان . عُلّق بيده اليمنى على باب كنيسة مريم (للملكيين) وفي رجليه لبنة من حديد . وكان قد عزل عن الخزانة وحبس ثم أُركب على بغل وأُتي به من الحبس مهاناً والحديد في رجليه والناس حوله ليشهدوا عذابه . فعلق على باب الكنيسة وطلب منه اموال عظيمة وهرب اهله . وكان الملعون تمكن من المسلمين واذلّهم ورفع منار النصارى وتسلطوا بجاهه على المسلمين . وجدد لهم بناء كنيسة مريم وشيد بنيانها ورفع بابها وحسّن عمارتها . ثم هُدم ما زاده واعيدت الكنيسة الى ما كانت عليه في شعبان بامر السلطان

الكامل . وحضر ذلك جماعة من العلماء والعدول والشيوخ وخلق كثير من العامة وتولى النصارى هدم ذلك بانفسهم

(الذيل على الروضتين لابي شامة ٥٨٥٢ خزانة باريس ١٧٢-١٧٣)

دولة الملك المعظم ابن الملك الصالح الايوبي سنة ١٢٤٩-١٢٥٠ م

في العشرين من المحرم سنة ثمان واربعين وستمائة (١٢٥٠ م) دخل الناس كنيسة مريم (بدمشق للملكيين) بفرحة وسرور ومعهم مغاني ومطربون فرحاً بما جرى (اسر الملك لويس في دمياط) وهموا بهدم الكنيسة . وبلغني ان النصارى ببعلبك سوّدوا وسخّموا وجوه الصور في كنيستهم حزناً على ما جرى على الفرنج فعلم بهم الوالي فجناهم جناية شديدة وامر اليهود بصفعهم وضربهم واهانتهم

(الذيل على الروضتين ٢٠٣)

دولة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري سنة ١٢٦٠-١٢٧٧ م

كان النصارى بدمشق قد شمخوا بسبب دولة التتار وتردد ايلسبان (امير البلد والقلعة) وغيره من كبارهم الى كنائسهم . وذهب بعضهم الى الملك هولاكو وجاء من عنده بفرمان لهم اعتناء بهم وتوصية في حقهم . ودخلوا به البلد من باب توما وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولها بارتفاع دينهم واتضاع دين الاسلام ويرشّون الخمر على الناس وبابواب المساجد . فركب المسلمين من ذلك هم عظيم . فلما هرب التتار من دمشق ليلة الاحد السابع والعشرين من رمضان اصبح الناس الى دور النصارى ينهبونها ويخربون ما استطاعوا منها . وكانت النصارى قد عبروا من باب توما قاصدين درب الحجر ووقفوا عند رباط الشيخ ابي البيان . ونادوا بشعارهم ورشوا الخمر في باب الرباط . وفعلوا مثل ذلك على باب مسجد الحجر الصغير والمسجد الكبير . والزموا الناس من دكاكينهم بالقيام للصليب ومن لم يفعل ذلك اخرقوا به واقاموه غصباً وشقوا به السوق الى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم . فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وبجّل دين النصارى ووضع من

دين الاسلام . ثم عطفوا من خلف السوق الى الكنيسة التي اخربها الله بعد ذلك وكان في ثاني عشر شهر رمضان . وفي الغد صعد المسلمون مع قضاتهم وشهودهم الى ايلسبان بالقلعة فاهانوهم ورفعوا قسيس النصارى عليهم واخرجوهم من القلعة بالضرب والاهانة . وفي غد حضر ايلسبان في الكنيسة

وفي الغد كانت الكسرة واخرب المسلمون من كنيسة اليعاقبة واحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كوماً والحيطان حولها تعمل النار في اخشابها . وقتل منهم جماعة واختفى الباقون وجرى عليهم امر عظيم اشتفى به بعض الاشتفاء. صدور المسلمين (الذيل على الروضتين ٢٢٨ - ٢٢٩)

في سنة احدى وستين وستمائة (١٢٦٢ م) ارسل السلطان الملك الظاهر بيبرس علاء الدين طيبرس الى كنيسة الناصرة وكانت من اجل مواطن عباداتهم ويزعمون ان دين النصرانية ظهر منها . فسار اليها وهدمها . ولم يتجاسر احد من الفرنج يتحرك . . . وعبر السلطان على الناصرة حتى شاهد خراب كنيستها وقد سُوّي بها الى الارض

(السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١٧٢٦ باريس ١٥٠)

سنة ٦٦٣ (١٢٦٥ م) في جمادى الآخرة وقعت نار بحارة الباطلية بالقاهرة فاحرقت ثلاثاً وستين داراً جامعة . ثم كثر الحريق بعد ذلك بمصر حتى احرق رَبع فرج وكان وقفاً على اشراف المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها وسلامه . بحيث لم يبقَ فيه مسكن . والوجه المطلّ على النيل من رَبع العادل وكان وقفاً على تربة الامام الشافعي رحمة الله عليه . وكانت توجد لفائف مشاق فيها النار والكبريت على اسطحة الآدر . وعظم هذا الامر على المسلمين ورُتّب بالشوارع والازقة دِنان الماء . واتُّهم بذلك النصارى الكَركيون والملكيون . فلما قدم الملك الظاهر ديار المصرية عزم على استئصال النصارى واليهود بسبب الحريق . فامر بوضع الاحطاب والحلفا في حفرة كانت في وسط القلعة وان تضرم فيها النار ويطرح فيها النصارى واليهود . فجُمعوا

على اختلاف طبقاتهم حتى لم يبقَ الا من هرب . وذلك يوم الاربعاء ثامن عشر شعبان . وكُتِّفوا ليُرموا في الحفرة . فشفع فيهم الامراء . فامر ان يشتروا انفسهم . فقُرِّر عليهم خمسمائة الف دينار يقومون منها في كل سنة بخمسين الف دينار تؤخذ منهم بحسب قدرة كل واحد منهم وضمنهم راهب يعرف بالحبيس

(كتاب الذيل على مرآة الزمان لقطب الدين موسى اليونيني
خزانة اكسفرد Pococke 132)

في سنة ٦٧٦ (١٢٧٧ م) كانت وفاة الشيخ خضر ... شيخ الملك الظاهر . هدم كنيسة النصارى بالقدس وقتل قسيسها بيده وعملها زاوية وهدم كنيسة الروم بالاسكندرية وهي كرسي كنائسهم يعقدون بها البتركة ويزعمون ان رأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام فيها . وهو عندهم يُحَنا المعمداني الذي عمد المسيح ابن مريم . وجعلها مسجداً وبنى فيها المحاريب وسماها المدرسة الخضراء وفتح لها شباكاً الى الطريق ورتب فيها فقراء يقطعون المصانعات ويحمون ارباب الجرائم من اللصوص وغيرهم ويتعاطون الفسق

(نهاية الارب للنويري الجزء التاسع والعشرون ١٥٧٨ باريس ٩٨)

دولة الملك الاشرف شعبان سنة ١٣٦٣ – ١٣٧٧ م

ورد الخبر في يوم السبت رابع عشري المحرم سنة ٧٦٦ (١٣٦٤ م) بمنازلة الفرنج مدينة الاسكندرية ... واستُشهد جماعة من المسلمين ... فاخذ الامير يلبغا (الاتابك نائب السلطان) في التأهب لغزو الفرنج . وتُتبعت النصارى فقُبض على جميع من بديار مصر وبلاد الشام وغيرها من الفرنج . وأُحضر البطريق والنصارى وأُلزموا بحمل اموالهم لفكاك اسرى المسلمين من ايدي الفرنج وكُتب بذلك الى البلاد الشامية . وتُتبعت ديارات النصارى التي باعمال مصر كلها وأُلزم سكانها باظهار اموالهم واوانيهم وعوقبوا على ذلك

(السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١٧٢٧ باريس ٤٦ – ٤٧)

وفي سنة ٧٦٧ (١٣٦٥ م) ضيق يلبغا على جميع النصارى الملكية (في مصر

والشام) خصوصاً الشوابكة (اهل الشوبك الملكيون) واتُّهموا انهم مالأوا الفرنج حتى هجموا على الاسكندرية

(الثاني من الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي ١٣٧٩
الخزانة التيمورية ٣٩٧)

دولة الملك الظاهر سيف الدين جقمق سنة ١٤٣٨ — ١٤٥٣ م

في اول يوم من المحرم (سنة ٨٤٦ = ١٤٤٢ م) خُتم على كنائس النصارى الملكيين (بمصر) لانه وجد داخلها اعمدة كدّان من الحجارة المنحوتة واكتاف جدد . وزعموا ان معهم مستنداً بذلك . فلما ابطأوا باحضاره ختموا عليها ومنعوا من دخولها . . . ثم تتبعوا سائر الكنائس من البلدين مصر والقاهرة وحصل على جميع اهل الطوائف من اهل الذمة من الاهانة والتغريم ما لا مزيد عليه . واظهر الملكيون محضراً يتضمن الاذن لهم في عمارتها بعد الحريق الكائن في سنة ثلاثين وسبعمائة (١٣٢٩ م) من القاضي جلال الدين القزويني قاضي الديار المصرية في الدولة الناصرية . وتاريخ المحضر سنة اربع وثلاثين . فوقع في ذلك نزاع كبير

وفي صبيحة الثلاثا اول جمادى الاولى (سنة ٨٤٩ = ١٤٤٥ م) حضر القضاة عند السلطان تهنئة بالشهر . فامر الشافعي ان يتوجه مع كاتب السر بسبب كنيسة الملكية . فرفع ابن اقبرس ناظر الاوقاف للسلطان ان جدارها عالٍ على مسجد يجاورها وانه يجب هدمه . وكان السبب في ذلك ان بَرْدَدار ابن اقبرس تسلط على بطرك الملكية وكان قريب العهد بالاستقرار فيها (اي في البطركية) وقرّر عوض الذي مات في السنة الماضية وطمع فيه . فرفع البطرك امره للسلطان بقصة اعطاها لكاتب السر . فبادر ابن اقبرس حمية لمن هو من جهته فذكر ذلك . فأُمر بالكشف فتوجهوا فقيل انهم رأوا الجدار الذي من جهة المسجد مائلاً فحكم الشافعي بهدمه خشية ان يسقط على المسجد . وانفصل المجلس على ذلك

(إنباء الغمر بانباء العمر لابن حجر العسقلاني ١٦٠٢ باريس ٢٦١ و ٢٧٥)

في يوم السبت العشرين من جمادى الآخرة (سنة ٨٥١ = ١٤٤٧ م) امر السلطان بهدم كنيسة النصارى الملكيين التي بقصر الشمع (المذكورة آنفاً)... وندب السلطان لهدمها وكيل بيت المال ابا الخير النحاس وناظر الاوقاف البرهان ابن ظهيرة ومعلم المعلمين ناصر الدين محمد بن البدري حسين الطولوني. وامر ببيع انقاضها وان يعمر بثمنها المسجد القديم الذي كان بجانبها الغربي ... وجعل كرسي البطريك الذي كان يجلس عليه يوم العيد منبرا بعدما اختُصر منه بعضه لمزيد علوه واخذ في بنائه من اخشاب الكنيسة بل ومما كان تأخر بها من العمد الرخام . وكذا أُخذت جميع عُددها من زجاج ونحاس وجعلت في الجامع . ولم يوخذ من ارض الكنيسة في الجامع شيء انما هو المسجد . ولما تم وقف له السلطان وقفاً حسناً (التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ١٨٠ - ١٨٢)

ممن توفي في هذه السنة (٨٥٢ = ١٤٤٨ م) السيد احمد بن حسن بن علي .. الشافعي الشهير بالنعماني ... كان نقمة على اهل الذمة في ما يجددونه في كنائسهم . بل هو القائم في هدم كنيسة النصارى الملكيين بقصر الشمع وصارت جامعاً . وقال لي صاحبنا الشيخ برهان الدين النعماني ... انه اسلم على يده ثمانون كافراً وانه لم يبق في قصر الشمع ولا في دُموة (الجيزة) ولا في المدينة كنيسة لليهود ولا للنصارى الا وقد شملها من السيد اما هدم واما بعض هدم واما ازالة منبر او قونوة (ايقونة) وهي الاخشاب التي تصنع فيها التماثيل (الصور) او ازالة حجاب وهي المقاصير (القنسطاس) التي تجعل على الهياكل (التبر المسبوك للسخاوي ٢٢٧-٢٢٨)

السلطان الملك الظاهر جقمق ... في ايامه جهّز خاصكيا اسمه اينال باي... فحضر الى القدس الشريف برسوم من الملك الظاهر بالكشف على الديارات وبهدم ما استجد بدير صهيون وغيره . وانتزاع قبر داود عليه السلام من النصارى . فهدم البناء المستجد بصهيون . واخرج قبر داود من ايدي النصارى. ونبشت عظام الرهبان المدفونين بالقبو الذي به قبر داود . وكان ذلك في يوم

الاثنين ثاني عشرى جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٤٥٢ م) وكان يوما مشهودا . وفي تلك السنة وقع البطش بالنصارى فأُخرج المسجد من دير السريان وسُلّم للشيخ محمد المشمر وصار زاوية . وهدم البناء المستجد ببيت لحم وبالقمامة (القيامة) وقلع الدرابزين الخشب المستجد بالقمامة . واخذ الى المسجد الاقصى بالتكبير والتهليل . وكشفت جميع الديارات وهُدم ما استجد بها . وكان ذلك في اواخر عمر السلطان ختم الله اعماله بالصالحات وازالة الديارات المنكرات (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي ٤٤٣-٤٤٤)

ومن هذه الامثال والاخبار يتضح ما كان عليه الملكيون في الشرق من الضيق والاضطهاد وما كان يجرّه عليهم لقبهم من البلايا والمصادرات . فكانوا من اجله يُحمّلون ليس عداء ملوك الروم للمسلمين فقط . بل ذنوب ملوك الفرنج ايضاً ويُتّهمون بكل كارثة او مكيدة تحل بالدولة . ولو كانوا معروفين بالعجز عنها والبراءة منها . فيعاقَبون عليها عقاب الجناة الأثمة وتتناول الاطماع والاحقاد ما تشاء من كنائسهم ومنازلهم واموالهم وارواحهم . وقد مر بنا ان الامير يلبغا نائب الملك الاشرف شعبان في مصر اقتص من كل الملكيين في الديار المصرية والشامية وتعمد بالاذية اهل الشوبك منهم خصوصاً لمنازلة افرنج قبرص مدينة الاسكندرية سنة ١٣٦٤ كأن هؤلاء الصاليك الغرباء الذين كان بعضهم لا يدري اين قبرص في الدنيا هم الذين حرّضوا الفرنج على هذه الغزاة ومكنوهم من اسواق الاسكندرية . وهذا الشاهد وحده كافٍ للدلالة على المعاملة الجائرة الباغية التي كان الملكيون يعاملون بها على كل حال حيثما كانوا

على ان كل هذه المظالم على شدتها وإسرافها لم تكن الا بعضاً من المِحَن التي كانت تشملهم دائماً في جملة شدائد المسيحيين في الاسلام كما يمكن استثبات ذلك من مراجعة اقوال المؤرخين في قدم مما رووه من وقائع النصارى من الهجرة الى زوال الخلافة العباسية في القرن السادس عشر

« أيمان النصارى الملكانيين »

الايمان جمع يمين بمعنى الحلف والقسم . روى ابن فضل‌الله العمري بهذا العنوان نص اليمين التي كان الملكيون في زمانه (١٣٠١ — ١٣٤٨ م) يُحلَّفون بها في الدولة المصرية . ويدخل في لقب الملكيين كما قلنا سابقاً ملوك الفرنج وامراء الصليبيين فيما عدا الروم البلديين في مصر والشام. وكانت اليمين تُطلب منهم في اوقات الهُدَن والمصالحات ويحلَّف بها بعض قواد البحر والرسل الواردين للمواعدة والموافقة على اثر بعض الوقائع البحرية . وسيأتي نصها قريباً مع بعض زيادات رواها صاحب « تثقيف التعريف » و« صبح الاعشى » . ومن طالعها وتدبر الفاظها ومعانيها لا يملك نفسه من الارتياع والاشمئزاز اولاً . ومن الاندهاش والضحك والقهقهة ثانياً . لما فيها من العظائم والسخافات والتخليط مما يدل على ان اول من لفّقها جمع رُقَعها من كل ثوب وتلقط الفاظها وعباراتها من كل بقعة وصوب . وقرن بعضها ببعض على ما بينها من التنافر والتناقض كما تقرن الشتائم والحماقات في فم مغيظ بلغ الغاية من الحنق والنفور. ومن اشد الغرائب ان يرد هذا الاسلوب السمج القبيح الذي أُريد به التهويل والاهانة في اشرف ديوان واجلّهِ وهو ديوان وزارة الخلافة الهاشمية اذا صح ما رواه المدائني محمد بن عمر في كتاب « القلم والدواة » . ونقله عنه القلقشندي في صبح الاعشى . قال ان اصل ترتيب هذه الايمان التي يحلَّف بها النصارى كان في زمن الفضل بن الربيع وزير الخليفة هرون الرشيد وحكى عن بعض كتاب العراق انه قال :

« اراد الفضل بن الربيع ان يستحلف كاتبه عوناً النصراني فلم يدرِ كيف يستحلفه فقلت وَلِّني استحلافه . قال : دونك فقلت له :

احلف بالملك الذي لا تعبد غيره ولا تدين الا لهُ . والا فخلعتَ النصرانية وبرئت من المعمودية . وطرحت على المذبح خرقة حيضة جودية . وقلت في المسيح ما يقوله المسلمون « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » . والا فلعنك البطريك الاكبر والمطارنة والشماسة والقماسة والديرانيون واصحاب المجامع عند مجتمع الجنائز[1] وتقريب القربان وبما استغاثت به النصارى ليسوع . والا فعليك حرم[2] الثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً الذين خرجوا من نيقية حتى اقاموا عمود النصرانية . والا فشققت الناقوس وطبخت به لحم جمل واكلته يوم الاثنين مدخل الصوم . . . ورميت الشاهد[3] بعشرين حجراً جاحداً بها (كذا) وهدمت كنيسة لُدّ وبنيت بها كنيسة اليهود . وخرقت غفارة مريم وكهونة داود (كذا) . وانت حنيف مسلم . وهذه اليمين لازمة لك ولعقبك من بعدك

قال فقال عون : انا لا استحل ان اسمع هذه فكيف اقولها . وخرج من جميع ما طالبه به الفضل . فامر بها الفضل فكتبت نسخاً وفُرّقت على الكتاب . وامرهم بحفظها وتحليف النصارى بها[4] »

ويؤخذ من رواية ابي عبدالله حمزة بن حسن الاصبهاني في شرحه الوجيز على ديوان ابي نواس ان الذي ابتدع هذه اليمين على هذا الوجه الفاحش البذيء انما هو شيخ المغنيين المشهور اسحق بن ابرهيم الموصلي . وهذا نص كلامه ننقله بحرفه وقذره بعد ان نستميح القارئ اجمل العذر ليعلم ما كان يجري احياناً في الدواوين السلطانية من اساءة الادب والاخراق بكل وقار . قال :

« رُوي عن اسحق بن ابرهيم الموصلي انه قال :

وجيت على عون العبادي (اي النسطوري) يمين وكنت ثقيل القلب عليه فقلت للفضل بن الربيع : وَلِّني استحلافه . فقال : دونك ذاك . فقلت :

« خلعتَ النصرانية وبرئت من المعمودية . وطرحت على المذبح حيضة جودية . وقلت في المسيح مقالة الحنيفية . والا لعنك البطريق الاكبر والمطربوليطون والشماسة والديرانيون .

---

١ في الاصل المطبوع « مجتمع الخنازير وهو تحريف قبيح »

٢ في الاصل المطبوع جُرم بالجيم المنقوطة وهو غلط ظاهر

٣ يريد بالشاهد هنا الشهيد

٤ صبح الاعشى ١٣ : ٢٨٧ — ٢٨٨

واصحاب المجامع عند جمع الجنائز وتقريب القرابين . والا فعليك جملة (اي لعنة) الثلاثة والثمانية عشر اسقفا الذين خرجوا من نيقية لاقامة شريعة النصرانية . والا فشققت الناقوس وطبخت به لحم جمل واكلته يوم الاثنين مدخل الصوم . واخذت قربانك من است يهودي اعور يوم العيد الاكبر . وخريت في جرن[1] الميرون . ومسحت استك بلحية الشماس . وهدمت العُمر (اي الدير) وبنيت بنقضه كنيسة اليهود . وخنقت الراهب . وخرّقت غفّارة مريم . وصرت حنيفياً مسلماً

فقال عون : والصليبِ ما استحلّ الاصفاء الى هذه اليمين فكيف استجيز ان احلف بها[2] »

وما لبث كتاب الانشاء الشريف ان أضافوا الى هذه الازبال والاقذار شناعات ورجاسات اخرى . واسخف ما هنالك واهزله طبخ لحم الجمل بشقاق الناقوس . وما ندري اي حرج على النصراني فيه . وهل الناقوس الا هذه الخشبة الطويلة التي يُقرع عليها للصلاة . او كما قال الاصبهاني « اسم للطنين يرتفع من خشبتين » . ولذلك بدل بعض كتاب الديوان خشب الناقوس بخشب الصليب . وجمع البحتري الشاعر بين الخشبين في هجو يعقوب بن الفرج الجهبذ النصراني بحلب ونقل في تحليفه اكثر ما في يمين الموصلي من المجون والحماة فقال باقبح لسان واوقحه :

فإن كنتَ أدْهنتَ او خنتَ او ... لهجت بظلمي في من لهج
خالفت مريم في دينها ... وفارقت ناموسها المُنتهَج
وخرّقت غفّارها كافراً ... بمن غزل الثوب او من نسج
واعظمت ما اعظمتهُ اليهود ... تصلي لقبلتهم او تحج
. . . . . .
وهدّمت بيعة ما سرجس ... واطفأت نيرانها والسُرُج
واوقدت ناقوسها والصليـ ... ـبَ تحت عشائك حتى نضج

---

١ في الاصل جرّة

٢ الثالث من ديوان ابي نواس رواية الاصبهاني رقم ٤٨٣١ باريس ٨٦ – ٨٧

وبكّرت تخرأ في المذبح الـــكبير وتلطخ تلك الدرج
ولا زلت من الله في لعنـة تقيم عليـك ولا تتزعج
يمين متى مـا استحلّ امرؤ تجشمها عنـد قاضٍ فُلج[1]

وكأن امثال هذه النجاسات والفظائع لم تكن تكفي بعض منشئي الديوان الشريف في الدولة المصرية فاحب ان يزيدها رذالات ورقاعات اخرى . ويصعب علينا اليوم ان نفهم كيف ان كتاب السرّ عـلى تفوّقهم في العلوم والآداب التي اهلتهم لرئاسة الانشاء الملكي لم يدركوا بفطنتهم ان في المطالبة بهـذه الايمان الفاحشة السَفِلة حطاً من قدر السلطان وعاراً عـلى دولته لان التحليف بها كان في حقه وبلسانه

وبعـد ان اورد صاحب « تثقيف التعريف » صورة يمين العمري ولم يرضَ خلوّها من كل قذع وفحش قال :

« كنت عند وقوع الصلح مع الفرنج سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة (١٣٧٠ م) رتبت يميناً يحلفون عليهـا بزيادات عما تضمنته اليمين المذكورة وحلف عليها المذكورون بالابواب الشريفة بحضور من رُسم بحضوره وهي :

« والله والله والله العظيم إله ابراهيم . ماسك الكل . خالق ما يُرى وما لا يُرى . صانع كل شيء ومتقنه . الذي لا يعبد سواه . وحق المسيح عيسى بن مريم . وامه السيدة مريم . وحق الصليب وحق المصلوب . وحق الانجيل وحق الانجيل . وحق الآب والابن والروح القدس . اله واحد من جوهر واحد . وحق الاناجيل الاربعة التي نقلها متى ومرقص ولوقا ويوحنا . وحق اللاهوت والناسوت وصليب الصلبوت . وحق التلاميذ الاثني عشر . والاثنين والسبعين . والثلثمائة وثمانية عشر المجتمعين على نيقية . وحق الصوت الذي نزل على نهر الاردن وزجره . وحق الست مارية ام النور . وحق وما يقوله في صلاة كل معمداني . وحق ما اعتقده من دين النصرانية والملة المسيحية . اني افعل كيت وكيت . ومتى خالفت هذه اليمين التي في عنقي او نقضتها او نكثتها او سعيت في ابطالها بوجه من الوجوه او طريق من الطرق . برئت من المعمودية وقلت ان ماءها نجس وان القرابين رجس . وبرئت من

---

١ ديوان البحتري ٣٠٨٦ باريس ٧٦

مريحناً المعمدان والاناجيل الاربعة . وقلت ان متى كذوب . وان مريم المجدلانية باطلة الدعوى في اخبارها عن السيد ايسوع المسيح . وقلت في السيدة مريم قول اليهود ودنت بدينهم في الجحود . وبرئت من الثالوث وجحدت الاب وكذبت الابن وكفرت بالروح القدس . وخلعت دين النصرانية ولزمت دين الحنيفية . وضمخت الهيكل بحيضة يهودية . ورفضت مريم وقلت انها قُرنت مع الاسخريوطي في جهنم وانكرت اتحاد اللاهوت والناسوت . وكذبت القسوس وشاركت في ذبح الشماس . وهدمت الديارات والكنائس . وكنت ممن مالأ على قسطنطين بن هالاني وتعمد امه بالعظائم . وخالفت المجامع التي اجتمعت عليها الاساقف برومية وقسطنطينية . **وجحدت مذهب الملكانية** . وسفهت رأي الرهبان . وانكرت وقوع الصلب على السيد ايسوع . وكنت مع اليهود حين صلبوه . وحدت عن الحواريين . واستبحت دماء الديرانيين . وجذبت رداء الكبرياء عن البطريرك . وخرجت عن طاعة الباب . وصمت يوم الفصح الاكبر . وقعدت عن اهل الشعانين . وأبيت عيد الصليب والغطاس . ولم احفل بعيد السيدة . واكلت لحم الجمل . ودنت بدين اليهود . وابحت حرمة الطلاق . وهدمت يدي كنيسة قمامة . وخنت المسيح في وديعته . وتزوجت في قَرَن بامرأتين . وقلت ان المسيح كآدم خلقه الله من التراب . وكفرت بإحياء اليعازر ومجيء الفارقليط الآخر . وبرئت من التلاميذ الاثني عشر . وحَرُم علي الثلاثة وثمانية عشر (مجمع نيقية) . وكسرت الصلبان ودست برجلي القربان وبصقت في وجوه الرهبان عند قولهم كيرياليصون . واعتقدت ان (مجمع) نيقية كَفَر وفَجَر . وان يوسف النجار زنى بأم ايسوع وعَهَر . وعطلت الناقوس وملت الى ملة المجوس . وكسرت صليب الصلبوت ولطخته بلحم الجمل . واكلته في اول يوم من الصوم الكبير تحت الهيكل بحضرة الاباء . وقلت في البنوة مقال نسطوروس . ووجهت الى الصخرة وجهي . وصدّيت عن الشرق المنير حيث كان المظهر الكريم . والا برئت من النورانيين والشمعانيين . وانكرت ان السيد ايسوع احيا الموتى وابرأ الاكمه والابرص وقلت انه مربوب وانه ما رؤي وهو مصلوب . وانكرت ان القربان المقدس على المذبح صار لحم المسيح ودمه حقيقة وخرجت في النصرانية عن لاحب الطريقة . والا قلت بدين التوحيد وتعبدت لغير (رب) الارباب . وقصدت بالمطانيات غير طرق الاخلاص . وقلت ان المعاد غير روحاني . وان بني المعمودية لا تسبح في فسيح السماء . واثبت وجود الحُور العين في المعاد . وان في الدار الآخرة التلذذات الجسمانية . وخرجت خروج الشعرة من العجين من دين النصرانية . واكون من ديني محروماً . واقول ان جرجس لم يقتل مظلوماً . ومزقت غفارة الرب وشاركت الشُرَط في سلب ثيابه . واحدثت تحت صليبه وتجمرت بخشبته . وصفعت الجاثليق . وهذه اليمين

يميني . وانا فـلان . والنية بسرها نية مولانا السلطان الملك الاشرف ناصر الدنيا والدين شعبان ونية مستحلفي لهُ بها . والمسيح على ما اقول وكيل[1] »

وقـد مر بنا سابقاً ان الحلف بهذه اليمين الملكانية كان يجري دائماً بين يدي بعض الاساقفة ورؤساء الديارات والرهبان وبحضور تراجمة الديوان . ومن اشد الحرمان ان لا يكون حُفظ لنا متن ترجمة منها في اللسان الفرنجي لنرى هل استطاع هؤلاء التراجمة فهم بعض الفاظها وعباراتها وتأدية معناها . ونحن اليوم نعجز عنه ونحار فيه لاستغلاقه علينا وشدة غرابته . ولا يخفى ما في هذه الأيمان كلها من الخلط المضحك والسخف والهُـراء والسفالة والبعد عن كل ادب وذوق . وهي مشحونة باللغو والفضول والتكرار والاعادة لغير طائل . وتغلب عليها الطفرة من معنى لآخر دون اقل تلاؤم وتناسب حرصاً على السجع آفة كل كتابات الديوان . وهنالك ايضاً من سوء الاختيار والفهم والابهام والغموض مـا هو كالمعمى لا يتبين له تفسير صحيح كقوله « جذبت رداء الكبرياء عن البطريرك » . وقعدت عن اهل « الشمانين » . ولا يبعد انه اراد برداء البطريرك ما يسمى عند الملكيين بالمنتية ويعني بجذبه خلع سلطة البطريرك . وقد تكلف القلقشندي ايضاح ما في بعض هـذه الأيمان من الغموض والخفاء وبنى عليها اعتبارات واستنتاجات شتى ذكر من اجلها ان للنصارى اشياء يعظّمونها واشياء يحرمونها واخرى يستعظمون الوقوع فيها قال في بعضها :

« اما ما يحرمونه فانهم يقولون بتحريم لحم الجمل ولبنه كاليهود ويقولون بحلّ لحم الخنزير خلافاً لليهود . وهو مـا ينكره عليهم اليهود من مخالفة احكام التوراة . ويحرمون صوم الفصح الاكبر وهو يوم فطرهم من صومهم الاكبر

« واما الاشياء التي يستعظمون الوقوع فيها :

فمنها القعود عن اهل الشمانين وهم اهل التسبيح الذين كانوا حول المسيح

---

(١) تثقيف التعريف . خزانة اكسفرد Pococke Or. 142 f° 93-95

عليه السلام حين ركب الحمار بالقدس ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقدسونه

ومنها صوم الفصح الاكبر . وصرف الوجه في الصلاة عن الشرق واستقبال صخرة بيت المقدس موافقة لليهود

ومنها خيانة المسيح في وديعته . وذلك انهم يزعمون ان كل ما خالفت فيه فرقة من الفرق الثلاث الفرقة الاخرى كقول الملكانية ان المعاد جسماني . وقول اليعقوبية ان المعاد روحاني. فان الفرقة الاخرى يستعظمون الوقوع في ما ذهب اليه مُخالفها . وكذلك كل ما جرى هذا المجرى[1] »

ولا نعلم اين وجد القلقشندي هذه الشروح على ما بعضها من قلة الوضوح وسوء التأويل . ومن الغريب انه بعد ان نقل إنكار الملكية في القَسَم « ان في الدار الآخرة التلذذات الجسمانية » وهو في غاية الجلاء والصراحة عاد فزعم ان من معتقدهم « ان في الآخرة التلذذات الجسمانية بالاكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون[2] » وهو من اقصى الذهول واسوإ التخليط

ومن املح ما جاء في الأيمان السابقة اكل لحم الجمل وتلطيخ صليب الصلبوت به بعد كسره . ولا نعلم في اي كتاب من كتب المذاهب النصرانية وردت حرمته وانما هي معروفة لليهود . ويشبه ان يكون التقزز من اكله عادة كانت مختصة بالملكيين لرغبة النساطرة واليعاقبة دائماً في مجاملة المسلمين ومجاراتهم لاشياعهم من قبائل العرب المشهورين بقَرَمهم الى هذا اللحم . ومما يؤيد ذلك ما رواه البطريرك الملكي افرام الانطاكي لدى الحارث بن جبلة الغساني لاقناعه بقبول المجمع الخلقيدوني قال :

« ولما تعذر على افرام ان يثني الحارث عن رأيه ألحّ عليه ان يتقرب من

---

١ صبح الاعشى ١٣ : ٢٨١ — ٢٨٧

٢ صبح الاعشى ١٣ : ٢٧٧

يده . فقال له الحارث : ادعوك الى تناول الطعام معنا . واوعز الى جماعته باللسان العربي[1] ان لا يحضروا على المائدة الا لحم الجمل . فلما اتوا به قال الحارث لافرام : بارك طعامنا . فاضطرب البطريرك وامسك . فاخذ الحارث بالاكل كعادته . فقال له افرام : لقد نجّست المائدة لانك قد احضرت امامنا لحم الجمل . فاجابه الحارث لماذا تريد ان تُكرهني على تناول قربانك وانت ترى انك تتنجّس بطعامي[2] »

ويظهر من كلام لابي نصر يحيى بن التكريتي اليعقوبي في كتابه المخطوط المحفوظ في خزانة اكسفرد في الفصل الرابع والاربعين « في الاطعمة وما حُرّم » ان اليعاقبة ايضاً كانوا يكرهون اكل لحم الجمل او بالحري الاكثار منه لا تحرماً وتديناً ولكن تصوناً واجتناباً لما يكسبه اكله في اعتقادهم من سوء الخُلُق والحقد وهما من طبيعة الجمل . وهذا نص عبارته قال :

« انما كره الاطباء الإمعان في الاغتذاء بلحم الخنازير والاكثار من لحم الخيل والجمال لانها تكسب مزاج البدن حالاً يتعدى الى قوى النفس واخلاقها . مثل ان الاكثار من اكل لحم الخنزير مع كثرة ما يولّد في البدن من الفضلات الردية قد يكسب اكله ترك الغيرة ويكسبه سوء الحرص . ومثل ما يُكثر اكل لحم الجمال سوء الخُلُق والحقد . فقد بيّن جالينوس ان البدن وان كان يُحيل الغذاء الى طباعه فقد يمكن اذا تكرر الغذاء ان يحيل البدن الى طباعه مثلما يفعل الاكثار من اكل الالبان البرص . والاكثار من لحم الخنزير الصرع . وليس هذا لان هذه الاشياء نجسة لكن ربما كان فيها ضرر ما ولكن ليس بظاهر[3] »

وانما نقلنا هذا القول على علّاته لا اصدق مزاعمه ولكن لتفسير امتناعهم من اكل لحوم الجمال في من كان يأبى الاغتذاء بها وقتئذ

---

١ هذا دليل ظاهر على ان البطريرك افرام كان لا يفهم العربية وان الحارث بن جبلة كان يخاطبه بالرومية . وكان الحارث بطريقاً للروم في الشام ملّكاً على بني غسّان . سافر غير مرة الى القسطنطينية وتوسط لدى يوستينيانس ويستينس في شؤون كنيسة اليعقوبية فلم يكن له بد من تعلم الرومية ليتحدث بها مع الولاة والملوك

Chronique de Michel le Syrien. Édition, traduction Chabot, t. II, p. 247-248.

٢

٣ خزانة أكسفرد Poc. Or. 253

تواقيع البطاركة الملكيين

والعهود التي كانت تعطى لهم في الدول الاسلامية

يراد بالتوقيع في علم « المصطلح الشريف » العهد الذي كان يكتب للبطاركة في الديوان لتقلد رئاسة النصارى كالبراءة التي كانت تمنح لكل من قام من البطاركة في الدولة العثمانية . ولا ندري كيف كان العهد الذي أُعطي في خلافة هشام بن عبد الملك لاسطفانس اول البطاركة الملكيين في انطاكية بعد الفتح الاسلامي وانقضاء نيف عن قرن من فراغ الكرسي . ولا يخفى كم كانت تكون الفائدة عظيمة لو حفظ لنا التاريخ نص العهد المذكور لنرى ما كانت اراء الخلفاء الامويين في الملكيين وكيف كانوا ينظرون الى لقبهم وانتمائهم الى قياصرة الروم والبابوات . وقد حُرمنا ايضاً لذة الوقوف على نص هذه التواقيع في ايام الخلفاء العباسيين فلا نعلم كيف كانوا يكتبونها لمن كانوا يعدونهم حرباً لهم . وليس لدينا كذلك شيء من عهود الخلفاء الفاطميين لاحد من البطاركة الملكيين في مصر والشام . وقد فاتنا اكثر مؤلفات كتبة ديوان الانشاء في زمانهم اذا صح انهم كتبوا شيئاً على مثال كتابَي التعريف وصبح الاعشى من كتب المصطلح الشريف

واول عهد اتصل بنا من كتابات ديوان الانشاء الايوبي هو من القرن الثامن للهجرة نقله القلقشندي بعنوان « توقيع لبطرك النصارى في الشام » وقال كُتب به للبطريرك داود الخوري بلقب « البطرك المحتشم[1] » . واكثر الفاظه

---

١ قال القلقشندي : المحتشم من الالقاب التي اصطُلح عليها لتجار الروم والفرنج . والمراد بالمحتشم هنا الرئيس الذي له حَشَم وهم خَوَله وخدمه . وبعضهم يُطلق المحتشم على المستحي وعليه عرف العامة وهو المراد هنا . (صبح الاعشى ٦ : ١٨٣) ويعترض على التفسير الاول انه لم يرد في كتب اللغة احتشم بمعنى صار ذا حشَم . والارجح ضبط اللفظ بالفتح اي المُحتَشَم على صيغة المفعول فيكون بمعنى المُستحي منه اي المحترم وهو اليق برجال الدين . قال في اساس البلاغة : انا احتشمك واحتشم منك اي استحيي

مستمدة من نفس النص الوارد في كتاب التعريف لابن فضل الله العمري بعنوان « وصية بطريرك النصارى الملكانيين » (ص ١٤٤ — ١٤٥) ولا شك ان من كتبه لم يرتجله من عنده بل قلد فيه مثالاً قديماً وجده في ديوان الخلافة الفاطمية . وعليه جرى كتاب السلطنة الايوبية . ولم تكن الحال تتسع وقتئذ للارتجال والتبديل والعهد قريب بين الدولتين . والتقليد او امتثال سُنن السلف سجية في مثل هذه الدواوين . ولعل اكثر توقيع البطريرك داود لا يختلف في جملته عن التواقيع التي كانت تعطى للبطاركة الملكيين في انطاكية والاسكندرية في عهد الخلافة العباسية . وكان عمال مصر والشام يستقلّون احياناً بكتابتها دون مطالعة السلطان بها « لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان[1] »

ولكتاب ديوان الانشاء الشريف طرق كانوا لا يخرجون عنها في تلقيب البطاركة . قال القلقشندي : ورأيت لهم في تلقيب بطرك النصارى طريقتين :

« الطريقة الاولى : البطرك المحتشم . المبجّل . فلان . العالم بامور دينه . والمعلّم اهل ملته . كبير الطائفة العيسوية . المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين . وفّقه الله تعالى

« الطريقة الثانية : مجلس القسيس (كذا) الجليل الروحاني . الخطير . المتبتّل . ابن المطران (كذا) الناصب . الخاشع . المبجّل . قدوة دين النصرانية . فخر الملة العيسوية . عماد بني المعمودية . جمال الطائفة الفلانية . صفوة الملوك والسلاطين . فلان . ادام الله بهجته[2] »

وكانت الطريقة الاولى هي التي تستعمل عن نائب الشام في خطاب البطريرك الانطاكي . ويضاف اليها بعد المبجّل لقباً « العارف الحبر فلان »

---

١ صبح الاعشى ١٢ : ٧

٢ صبح الاعشى ١٢ : ٢٩٦

ومن القاب بطرك الملكانية كما وردت في مخطوط باريس (رقم ٤٤٣٩ ص ١٧٦) ورآها القلقشندي في بعض التواقيع :

« الحضرة السامية . الشيخ . الرئيس . المبجّل . المكرّم . الكافي . المعزّز . المفخّر . القديس . شمس الرئاسة . عماد بني المعمودية . كنز الطائفة الصليبية . اختيار الملوك والسلاطين[1] »

ومما يجدر ان يُشار اليه خصوصاً من هذه الالقاب الفاضلة قوله « كنز الطائفة الصليبية » وهو ما يؤيد ترادف اللقب الملكي واللقب الصليبي الكاثوليكي حتى في القرن الرابع عشر

وهذا نص توقيع البطريرك داود الخوري . وهو اول توقيع عفّ عنه الدهر واتصل بنا من تراث الاعوام السالفة :

توقيع الطرة (اي ما يكتب في اعلاه)

« توقيع كريم بان يستقر البطريرك المحتشم المبجل داود الخوري
المشكور بعمله لدى الملوك والسلاطين »

« وفقه الله تعالى . بطريرك الملكية بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة .
حسبما اختاره اهل ملته المقيمون بالشام »

« المحروس ورغبوا فيه وكتبوا خطوطهم به وسألونا تقريره دون غيره .
حسبما رُسم به على ما شُرح فيه[2] »

رُسم بالامر — لا زال يعزّ بالالتجاء الى حَرَمه من يأوي اليه . ويقصد عدله من اهل الملل ويعتمد عليه — ان يستقر فلان وفقه الله بطريرك الملكية بالمملكة الشامية المحروسة حسبما اختاره اهل ملته المقيمون بالشام المحروس ورغبوا فيه وكتبوا خطوطهم به وسألوا تقريره في ذلك دون غيره . اذ هو كبير ملته . والحاكم عليهم ما امتد في مدته . واليه مرجعهم في التحريم والتحليل . وفي الحكم بينهم بما انزل الله تعالى في التوراة ولم يُنسَخ في

---

١ صبح الاعشى ٦ : ١٧٣

٢ صبح الاعشى ١٢ : ٢٩٨ — ٢٩٩

الانجيل . وشريعته مبنية على المسامحة والاحتمال . والصبر على الاذى وعدم الاكتراث به والاحتفال . فخذ نفسك في الاول بهذه الاداب . واعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريق الى الباب . فتخلق من الاخلاق بكل جميل . ولا تستكثر من متاع الدنيا فانه قليل . وقدّم المصالحة بين المتحاكمين اليك قبل الفصل البتّ فان الصلح كما قيل سيد الاحكام . وهو قاعدة دينك المسيحي ولم تخالف فيه المحمدية الغرّاء دين الاسلام . ونظّف صدور اخوانك من الذلّ ولا تقتنع بما ينظفه ماء المعمودية من الاجسام . واليك الامر في البيَع . وانت رأس جماعتك والكل لك تبَع . فاياك ان تتخذها لك تجارة مربحة . او تقتطع بها مال نصراني يقرّبه فانه ما يكون قد قرّبه الى المذبح واغا ذبحه . وكذلك الديارات والفلالي . يتعين عليه ان يتفقد فيها كل امر في الايام والليالي . وليجتهد في اجراء امورها على ما فيه دفع الشبهات . ويعلم انهم انما اعتزلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ متنزهات . فهم انما احدثوا هذه الرهبانية للتقلّل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج . وحبسوا فيها انفسهم حتى ان اكثرهم اذا دخل اليها ما يعود يبقى له خروج . فليحذّرهم من عملها مصيدة للمال او خلوة له ولكن بالنساء حراماً ويكون انما تنزّه عن الحلال . واياه ثم اياه ان يؤوي اليه من الغرباء القادمين عليه من يُريب . او يكتم عن الاخاء الينا مشكل امر ورد عليه من بعيد او قريب . ثم الحذر الحذر من اخفاء كتاب يرد اليه من احد من الملوك . ثم الحذر الحذر من الكتابة اليهم او المشي على هذا السلوك . وليتجنّب البحر واياه من اقتحامه فانه يغرق . او تلقّي ما يلقيه اليه جناح غراب[1] منه فانه بالبين ينعق . والتقوى مأمور بها اهل كل ملة . وكل موافق ومخالف في القبلة . فليكن عمله بها وفي الكتابة ما يغني عن التصريح . وفيها رضى الله تعالى وبها امر المسيح[2] »

وقد اخلّ القلقشندي بذكر منشئ هذا التوقيع وبتاريخ كتابته . واذا كان البطريرك داود الخوري تولى الكرسي الانطاكي حوالي سنة ١٢٤٠ كما يُظن يكون التوقيع كتب له قريباً من سنة ٦٣٨ للهجرة اي في دولة الملك الصالح نجم الدين ايوب . وهو برمته — خلا الطرة والسطرين الاولين — نفس النص الوارد في كتاب التعريف بعنوان « وصية بطريرك النصارى الملكانيين » كما قلنا سابقاً

---

١ الغراب هنا ضرب من السفن . وفي العبارة ما لا يخفى من التورية

٢ صبح الاعشى ١٢ : ٢٤٦ — ٢٤٧

ويستدل من قول التوقيع للبطريرك داود « انك في المدخل الى شريعتك طريق الى الباب » اي البابا انه كان كاثوليكياً وهو اشهر من عُرف بطاعته للبابا في عهد الصليبيين في انطاكية . ولا عجب في ذلك فهو من اصل بلدي سوري . ولا يزال لقب الخوري شائعاً بين الأسر في الشام لاعتياد القسوس قديماً التزوج قبل الكهنوت خلافاً للرهبان . وكان يتفق احياناً ان يُنتدب احدهم للمطرانية ثم للبطريركية فيتولاها وله اولاد واحفاد . وقد استفاض منهم اسم بيت المطران قديماً وحديثاً في دمشق وبعلبك . وأنبه من ذُكر من البطاركة الانطاكيين بصحبة ولده البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي والد الشماس بولس وجدّ البطريرك كيرلس الخامس . وفي كتلكة البطريرك داود الخوري دليل ساطع على ان الملكيين البلديين كانوا اقرب مودة لحلفاء بطرس واسرعهم الى طاعتهم اذا ارتفعت عنهم وطأة اليونان ومظالم الحكام كما سيجيء.

ونظراً لما عُرف من صدق ولاء البطريرك داود لرومة دخل انطاكية برضى من اهلها واميرها بيموند الخامس ورضى البابا اينشنسيوس الرابع . واليه كتب البابا بتاريخ ٩ آب سنة ١٢٤٦ كتاباً من مدينة ليون يعرفه فيه انه ارسل قاصداً من قِبَله الى الشرق الفرير لوران Frère Mineur Lorenzo da Orte ليسعى في استصلاح اساقفة الطقس الرومي في انطاكية واورشليم وتسهيل وفاقهم لرومة . وانه تقدم اليه ان يكف عن الروم عادية اللاتين . واذا اقتضت الحال ان يطالع البابا رأساً بذلك[1]

ولدينا توقيع سلطاني ثانٍ يُستند اليه في تاريخ بطاركة انطاكية . نقله لنا القلقشندي . ويظهر ان احد كتاب ديوان الانشاء انكر التقيد منذ القِدَم بنص واحد في كتابة تواقيع بطاركة انطاكية الملكيين فاحب ان يستحدث نصاً جديداً ليس فيه تكرار للاسلوب السابق فانشأ للبطريرك ميخايل التوقيع الآتي الذي نسخه صاحب صبح الاعشى واهمل كعادته غالباً ذكر منشئه والسنة

---

1 E. Rey : *Les dignitaires de la Principauté d'Antioche.* Paris 1901, p. 35.

التي كُتب فيها واضاع علينا بذلك فوائد جزيلة واوقعنا في ارتباك وحيرة لتعيين البطريرك الذي كُتب له . لانه بين وفاة العمري ناسخ وصية البطاركة الملكانيين التي تضمنها التوقيع السابق (٧٤٩ للهجرة = ١٣٤٨ م) وسنة فراغ القلقشندي من كتابة صبح الاعشى سنة ٨١٤ (= ١٤١٢ م) قام على الكرسي الانطاكي بطريركان تسمى كل منهما باسم ميخايل . وهما ميخايل الاول (١٣٦٦ – ١٣٧٣) وميخايل الثاني الذي شهد نكبة تيمورلنك لدمشق وهرب منها الى قبرص سنة ٨٠٣ للهجرة (= ١٤٠١ م) فلا ندري بوجه التحقيق من منهما معنيّ هنا . وهذا نص التوقيع :

« اما بعد حمد الله الذي جعلنا نشمل كل طائفة بمزيد الاحسان . وفيض من دولتنا الشريفة على كل بلد اطمئناناً لكل ملة وايمان . ونقرّ عليهم من اختاروه وتراهبهم بمزيد الفضل والامتنان . والشهادة بان الله الذي لا إله الا هو الواحد الذي ليس في وحدانيته قولان . والفرد المنزّه عن الجوهر والاقنوم والوالد والولد والحلول والحدثان . شهادة اظهر اقرارها اللسان . وعمّت بها الجوارح والاركان . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث الى كافة الملل والانس والجان . الذي بشّر به عيسى وآمن به موسى وأُنزل عموم رسالته في التوراة والانجيل والزبور والفرقان . فصح النقل بنبوته وآدم في الماء والطين واوضح بذلك البرهان . وعلى آله وصحبه الذين ساروا باخلاص الوحدانية وشادوا اركان الملة المحمدية واعزّوا الايمان وازالوا الطغيان . صلاة ينفح طيبها ويفصح خطيبها ويفرح بها الرحمن

« فان اولى من اثنناه بطريركاً على طائفة النصارى الملكية . على ما يقتضيه دين النصرانية والملة العيسوية . حاكماً في امورهم . مفصحاً عما كمن في صدورهم . من هو اهل لهذه البطريركية . وعارف بالملة المسيحية . اختاره لها اهل طائفته لما يعلمون من خبرته ومعرفته . وكفايته ودربته . ونُدب الى ولاية يستحقها على ابناء جنسه . ورغب في سلوكها له مع اطابة نفسه . مع ما له من معرفة سرّت اخبارها . وظهرت بين النصارى آثارها . وكان البطريرك ميخايل ادام الله بهجته هو من النصارى الملكية بالمعرفة مذكور وسيره بينهم مشهور . القائم فيهم بالسيرة الحسنة . والسالك في مذهبهم سيَرًا تشكره عليها الالسنة . فلذلك رُسم بالامر الشريف – لا زال احسانه العميم لكل طائفة شاملاً . وبرّه الجسيم لسائر الملل بالفضل متواصلاً – ان يستقر بطركاً على النصارى الملكية بالشام واعماله

على عادة من تقدمه في ذلك . وتقوية يده على اهـل ملته من تقادم السنين بحكم رضاهم . ومنع من يعارضه في ذلك حملًا على ما بيده من التوقيع الكريم المستمر حكمه الى آخر وقت

فليباشر هـذه البطركية مباشرة محمودة العواقب . مشكورة لما تحلت به من جميل المناقب . وليحكم بينهم بمقتضى مذهبه . وليَسِرْ فيهم سيرًا جميلًا ليحصل لهم غاية قصده ومأربه . ولينظر في احوالهم بالرحمـة . وليعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهمة . وليسلك الطرق الواضحة الجلية . وليتخلق بالاخلاق المرضية . وليفصل بينهم بحكم مذهبه في مواريثهم وانكحتهم . وليعتمد الزهد في اموالهم وامتعتهم . حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممتثلًا لامره . واقفًا عندما يتقدم به اليـه في سرّه وجهره . منتصبين لاقامة حرمته . وتنفيذ امره وكلمته . وليحسن النظر في من عنده من الرهبان . وليرفُق بذوي الحاجات والضعفاء من النساء والصبيان . والاساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة للاحسان . احسانًا جاريًا في المساء والصباح . والغدوّ والرواح

فليمتثلوا امره بالطاعة والاذعان . وليُجيبوا ندبه من غير خلاف ولا توان . ولا يمكّن النصارى في الكنائس من دق الناقوس . ورفع اصواتهم بالضجيج ولا سيما عند اوقات الاذان لاقامة الناموس . وليتقدم الى جميع النصارى بان كلًّا منهم يلزم زيَّه . وما جاءت به الشروط العمرية — عمر بن الخطاب رضي الله عنه — لتكون احوالهم في جميع البلاد مرعية . وليخشَ عالم الخفيَّات . وليستعمل الأناة والصبر في جميع الحالات . والوصايا كثيرة وهو بها عارف . والله يلهمه الرشد والمعارف[1]

قال القلقشندي « وهذا التوقيع فيه الفاظ ومعانٍ غير مستحسنة والفاظ ومعانٍ منكرة . اخشها قوله « مفصحاً عما كن في صدورهم » فانه لا يعلم ما « تكنه الا الله تعالى » . وهذا الانتقاد لا يخلو من الغثاثة والتسخّل . وهو اكثر ما يتناول ظاهر اللفظ دون ما يدل عليـه من المعاني المبتذلة التي جرّ اليها حب الاسجاع الفارغة . ومن عارض هـذا التوقيع بالذي سبقه يدرك ما بينهما من الخلاف والتفاوت . ففي الاول عدة اشارات يجد فيها المؤرخ مجالًا للقول والاستدلال . بخلاف الثاني فان اكثره جعجعة الفاظ دون غنـاء غلب عليها التكرار لغير طائل . وغاية ما يستفاد منه غياب كل تصريح او تلويح بانتماء الملكيين الى ملوك الروم او بابوات رومة . وانقطاع كل تحذير لهم من

---

١ صبح الاعشى ١٢ : ٤٢٤ — ٤٢٦

تلقي اخبار مـا وراء البحار او ايواء الغرباء دون مطالعة السلطان . كما كان في التواقيع السابقة . وقـد استجدّ فيه بدلًا من ذلك النهي عن ضرب الناقوس[1] ورفع الاصوات في الصلوات . والتشديد بالتزام الزي العمري المزعوم من الزنار والعمامة والغيار وسائر التضييقات التي ابتُدع إذلالها في خلافة المتوكل وأُدخلت زوراً في جملة الشروط الذمّية التي نحلوها ثاني الخلفاء الراشدين. وهذه فيما نعلم المرة الاولى على مـا يظهر التي أدرجت فيها نظائر هذه الاوامر والنواهي في التواقيع السلطانية

وهذان التوقيعان للبطريركين داود وميخايل هما كل مـا انتهى الينا من تواقيع بطاركة انطاكية الملكيين . ولحسن الحظ نقل لنا القلقشندي صورة توقيع واحد لاحد البطاركة الاسكندريين ولكنه شاب إحسانه باهمال تسمية البطريرك وذكر تاريخ التوقيع ولا يخفى ما في الاهمال من فوات الفائدة المنتظرة منه لمؤرخ الكرسي الاسكندري . وهذا نص ما قيل فيه :

«اما بعد حمد الله منوّع الاحسان لأولي الاديان . وموصّله ومفرّعه لكل طائفة ولكل انسان . والصلاة على سيدنا محمد اباد الله به من اباد وأبان من ابان . فان الطائفة الملكية من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم . ولهم اصـل الرئاسة والنفاسة في تعيينهم . وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم سابقة . ورتبة بلوكهم الرومانية سامقة . ولهم جوار مشكور . وتبتّل مشهور وعليهم وصايا من الملوك في كل ورود وصدور . ولهم من نفوسهم مزايا تستوجب احترامهم . وتستدعي اكرامهم . وكان لابد لهم من بطريرك يلاحظ احوالهم اتم الملاحظة . ويستدعي لهم من الدولة اعظم محافظة . ويحفظ نواميس قبيلهم . ويحسن دراسة اخبيلهم . ويعرفهم قواعد معتقداتهم . ويأخذهم بالدعاء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم . ويجمعهم على سداد . ويفرقهم على مراد . وكان البطريرك فلان هو المتّفق بين طائفته على تعيينه . والمجمع على اظهار استحقاقه وتبيينه . والذي له مزايا لو كان فيه واحدة لكفتْهُ في التأهيل – ولرفعتهُ الى منصبه الجليل . فلذلك رُسم (بالامر الشريف) – لا بَرح يعطي

---

[1] قد يذهب عن بعض القراء معنى الناقوس هنا وهو غـير الجرس المعروف . قال القلقشندي « إذا ارادوا الصـلاة ضربوا بالناقوس وهو خشبة مستطيلة يضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون » (صبح الاعشى ١٣ : ٢٨٦)

كل احد قسطه . ويدخل كل لابوابه ساجدا وقائلا حِطَّة[1] . ان يباشر بطركة النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطاركة السالفة هذه الدولة

فليُحِط امورها الجزئية والكلية . والظاهرة والخفية . وليأخذهم بما يلزمهم من قوانين شرعتهم . وكل ما يريدون من حسن سمعتهم . واما الديرة والبيع والكنائس التي للملكية فمرجعها الى صونه . وامرها مردود الى جميل اعانته وعونه . والاساقفة والرهبان فهم سواد عين مُعتقده . فلا يُخلهم من تبجيل . وحسن تأهيل . وتتقدم الى من بالثغور من جماعتك بان لا يدخل احد منهم في امر مُوبق . ولا في مشكل موثق . ولا يميلوا كل الميل الى غريب من جنسهم . وليكن الحذر لغدهم من يومهم وليومهم من امسهم . ولا يشاكلوا[2] رسولا يرد . ولا قاصداً يفيد . وطريق السلامة اولى ما سُلك . ومن ترك الدخول في ما لا يعنيه تُرك . هذه جملة من الوصية لامعة افلح واهتدى بها من استشار . ورشد من لها استشار . والله يوفقك في كل مقصد تروم . ويجعلك بهذه الوصايا تقول وتقوم[3] »

ولا يخفى الفرق بين هـذا التوقيع والتوقيعين السابقين . وهو طافح بتأثر الطائفة الملكية وقد نبهنا على بعضها في ما تقدم

وقد اعيانا العثور على اقل اشارة الى عهود بطاركة اورشليم وقد تتبعناها سنين طويلة فاخفق اجتهادنا وصبرنا . ومن الغريب ان غير واحد من المؤرخين المسيحيين والمسلمين اسقط ذكر القدس او اورشليم في جملة كراسي البطاركة الملكيين . ومن اقدمهم البيروني قال : « البطاركة في الدين اربعـة . احد البطارقة يقيم بالقسطنطينية . والثاني برومية . والثالث بالاسكندرية . والرابع بانطاكية . ويسمون هذه البلدان كراسي[4] » واغفل ذكر القدس بتاتاً . وورد مثل هذا القول لمحمد الخوارزمي الكاتب في كلامه على النصارى وعدّ البطارقة اربعة احدهم يقيم بالقسطنطينية والثاني برومية . والثالث بالاسكندرية . والرابع

---

١ حِطة اي اغفر لنا خطايانا

٢ يراد بالمشاكلة هنا الاختلاط والمعاملة . وهو بهـذا المعنى غير وارد في كتب اللغة ويظهر انه عامي

٣ صبح الاعشى ١١ : ٣٩٢ — ٣٩٣

٤ الآثار الباقية عن القرون الخالية ٢٨٩

بانطاكية[1]. وفي مخطوط باريس ٤٤٣٩ ان القائم بالقدس يسمى مطراناً. ولكل طائفة فيه مطران « ومن برزت المراسيم بولايته مطرانا كان هو المستقر في ذلك والحكم في ولايته كالحكم في ولاية بطريرك كرسي انطاكية » (ص ١٤٠) ومما هو ادعى الى التعجب والاستغراب ان البطريرك ميخايل السرياني نفسه لما عد الكراسي البطريركية في الكنائس في تاريخه المشهور اقتصر على ذكر اربعة فقط ولم يشر بحرف الى اورشليم[2] فهل كان سبب هذا السكوت والاهمال استيلاء الصليبيين واللاتين على كرسي اورشليم ام لانه « لم يكن له خليفة من الحواريين » كما في المخطوط ٤٤٣٩

---

١ مفاتيح العلوم ص ١٢٩

٢ *Chronique de Michel le Syrien.* Édition Y. B. Chabot, t. II, p. 414.

« الملكانيون يدينون بطاعة الباب »

وردت هذه العبارة غير مرة في كتابات الديوان السلطاني واقوال المؤرخين. وقد استوفيناها في الكلام على ان البابا بطريرك الملكيين . وفي تواقيع البطاركة توريات اليها حيث يقول السلطان في خطاب البطريرك : « واعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريق الى الباب » . وكان كتاب السر في ديوان الانشاء اكثر الناس وقوفاً على احوال النصارى وفِرَقهم واوثقهم معرفة بما بين فرقة واخرى من دقائق الخلاف في المذاهب والاراء والرسوم والعادات . لاحتياجهم الى التنبيه على جانب منها في العهود السلطانية التي كانوا يقلّدون بها البطاركة اقراراً لولايتهم . فكانوا اذا كتبوا « وصية بطريرك النصارى الملكيين » يقولون في خطابه « اعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريق الى الباب فتخلق من الاخلاق بكل جميل » . واذا خاطبوا بطريرك اليعاقبة قالوا « يسقط قولنا واعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريق الى البـاب » . اذ كان لا يدين بطاعة الباب الذي هو رأس الملكانيين . وانما هو رأس اليعاقبة نظيره للملكانيين . ويقال مكان هذه الكلمة « واعلم بانك في المدخل الى شريعتك قسيم الباب . وانتما سواء في الاتباع[1] ... » واذا احتاجوا الى تحليف احد الملكيين كتبوا له في جملة الاقسام « والا انكرت اتحاد اللاهوت بالناسوت .. ووافقت البردعاني بانطاكية وجحدت مذهب الملكانية وخرجت عن طاعة الباب وقلت في البنوّة مقال نسطورس » . واذا كان من اليعاقبة ابدلوا هـذه الكلمات بقولهم : « انكرت مماسّة اللاهوت للناسوت .. وكذبت يعقوب البردعاني وقلت انه غير نصراني . وجحدت اليعقوبية وقلت ان الحق مع الملكية » .. ويبطل

---

١ التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ١٤٤ — ١٤٥

قوله « وخرجت عن طاعة الباب » . وان كان من النساطرة قال عوض مماسة اللاهوت للناسوت « اشراق اللاهوت على الناسوت . وقلت بالبراءة من نسطورس . وما تضمّنه الانجيل المقدس[1] »

ومثل هذا التنبيه الدقيق لاشباه هذه الاختلافات يدل على معرفة تامة بدخائل المذاهب النصرانية وتمييز تام بين عقيدة واخرى . ومن ثم اذا كان كتاب السر بالابواب الشريفة ينصّون على ان الملكيين في ايامهم كانوا يدينون بطاعة الباب ويعدّونهم سواء مع الفرنج وامراء الصليبيين في الانتماء الى رومية وطاعة بطريرك الملكيين فيها . لا يحق لاحد من انصار البيزنطيين بعد خلاف فوتيوس ان يطّرح شهادتهم ويرجّح مزاعم كتبة اليونان ان شعوب الكراسي الثلاثة في الاسكندرية وانطاكية واورشليم تابعوا بطريرك القسطنطينية كورولاريوس في شقاقه وهو لم تكن له او لخلفائه اقل سلطان على الكراسي الرسولية في الديار الاسلامية . وقد ذهب عنهم ان مكاتبة القسطنطينية كانت محظورة بتاتاً على البطاركة المصريين والشاميين وان العهود التي كانت بايديهم كانت تحذّرهم دائماً من إخفاء كتاب او كتابة جواب دون مطالعة السلطان به . وتشدّد عليهم الوصية « بتجنّب البحر وما يرد منه من مظانّ الريب » فكانوا في الغالب يجهلون ما يجري في القسطنطينية من النزاع وشدة الاطماع . ومن اغرب الدلائل على هذا الجهل والتجاهل ان سعيد بن بطريق وهو افتيشيوس بطريرك الاسكندرية اغفل بالتمام ذكر فوتيوس في جملة بطاركة القسطنطينية الذين عدّهم في كتابه على شهرته الذائعة وتقارب عهده . وفاته ان احد سلفائه على الكرسي الاسكندري ميخايل الاول (٨٥٩ – ٨٧١) كان أرسل نائباً عنه حضر مجمع القسطنطينية وقضى على فوطيوس ووصفه بانه « كاللص والزاني اختلس كرسي القسطنطينية[2] » وختم سعيد بن بطريق كتابه بقوله : « وفي هذه السنة (٣٢٦ للهجرة = ٩٣٧ للميلاد) انفذ ثاوفيلكتس بطريرك مدينة القسطنطينية

---

١ التعريف ١٥٣ – ١٥٤

٢ Mansi, *Ampliss. Coll. Concil.* t. XVI, col. 145-147.

رسولًا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية يسألهم ذكر اسمه في صلواتهم وقداساتهم لان ذلك كان انقطع منذ عهد بني امية[1] » اي منذ ثلاثة قرون . وهو ما يدل على انقطاع كل صلة ومراسلة بين القسطنطينية وكراسي الشرق الاسلامي لنهي الخلفاء والملوك عنها واعتقادهم انه كان يُراد بها دائمًا مطالعة الروم باخبار الاسلام . فلم يكن من ثم في طوق احد من رجال الدين في حاضرة القياصرة ان يجد سبيلًا لاستدراج كنائس مصر والشام والعراق الى متابعة القسطنطينية في خصامها وانفصالها

ويحسن هنا ان ننبه على الغلط الذي يقع فيه اكثر المؤرخين بالركون الى ما كُتب عن نصارى الشرق في القسطنطينية او اثينا او روي احيانًا في الغرب من اخبارهم بعد الانفصال . وانما هم ذميون عاشوا على الدوام في ديار الاسلام تحت نير الشرع المحمدي وأحكام الخلفاء والملوك دون ان تكون لهم مقدرة لمكاتبة من كان وراء البحار كما تقدم القول . فاذا أُريد وصف ما كانوا عليه حقيقة في اوطانهم العربية وما تعاقب عليهم من الاحوال وطرأ على بطاركتهم من تبدل وتنقل او ما اصاب كنائسهم وديراتهم من غِيَر ومِحَن . يجب على المؤرخ الصادق بعد ضياع كل آثارهم وتَرِكاتهم ان يتطلب اخبارهم في ما بقي منها في مظانّها اي في ما لعله رُوي منها عرضًا واتفاقًا في جملة الحوادث المكانية التي دوّنها معاصروهم من المصنفين والمؤرخين المسلمين . ولا يثق كل الثقة بكل ما حكي عنهم في المؤلفات والمعجمات الغربية دون انتقاد او استناد . ولعل مشكلة من مشاكلهم التي اعيت كل من تكلم عليهم لا يتسنى حلها الا بعد مراجعة كتابات عصور الخلافتين العباسية والفاطمية وما تفرق عنها من الدول التركية . ولا يخفى على احد هول هذا المطلب الطائل وما يقتضيه من الوقت الطويل والصبر الجميل . وقد اقدمنا عليه مع ذلك لثقتنا بالله وعونه وتطوّعنا له منذ اربعين عامًا وانفقنا في سبيله اطيب

---

١ نظم الجوهر ٢ : ٨٨

الذخر والعمر . وتفرغنا له في جملة ما توخيناه في طوافنا على الخزائن العربية في الشرق والغرب من جمع مـا يتيسّر من شواهد الحضارة العربية واوصافها في الاسلام وقد اسعدنا الحظ واعاننا الصبر والجلد عـلى اكتشاف بعض فوائد وحقائق لم نكن نحلم بها او لم يكن في الحسبان ان نظفر بها حيث اصبناها على غير انتظار ولا امل . ومن جملة هـذه الكنوز التي عثرنا عليها مخطوط أُنف في خزانة باريس يتيم منقطع النظير في مجلد واحد مرقوم بعـدد ٤٤٣٩ تبلغ صفحاته ٣٣٠ صفحة . ذكر عنه في البرنامج الفرنسي انه « ديوان الانشاء » . ولكن جاء في ظهر الورقـة الثانية منه بخط غير خط الناسخ انه « كتاب المقصد الرفيع المنشا الحاوي الى (كذا) صناعـة الانشا » . وكلا العنوانين ليسا اسم الكتاب الصحيح . وهو غفـل من اسم المؤلف ومن تاريخ التأليف والنسخ . وقد طالعناه بسره وامعنّا في درس ابوابه وفصوله لعظم فائدته . ومر بنا في اثناء كلامه عـلى القاضي معين الدين بن العجمي احد كتاب الديوان في زمانه انه كتب كتابه هـذا بعد سنة ٨٤٤ للهجرة او سنة ١٤٤٠ للميلاد . اي بعـد تواريخ تواقيع البطاركة الثلاثة داود الخوري وميخايل الاول وميخايل الثالث التي رويناها آنفاً . وبعـد زمان ابن خلدون القائل ان بطرك رومية المسمى بالبابا كان في حياته (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) على رأي الملكية . وهو على نَمَط كتابي التعريف للعمري وصبح الاعشى للقلقشندي . ودونهما رتبة . حكى فيه بالتفصيل ما كان في زمانه في الديوان الشريف من المصطلحات والرسوم ، وكان لا شك من كتّابه . فهو اذن من النصف الثـاني من القرن الخامس عشر غير بعيد عن تاريخ سقوط دولة المماليك واستيلاء العثمانيين على مصر والشام . ويجب ان يعد من اجل الشهود واعرفهم بما كانت عليـه احوال الملكيين ومذاهبهم في ايامـه . وقد افاض في الكلام على بطاركة النصارى وزعماء اهـل الذمة في عهده وخصّ الملكيين بشرع قاعدة انتخاب بطركهم لكرسي انطاكية وصرّح فيـه بغاية الوضوح والجلاء ان ولايته كانت من الابواب الشريفة بمصر بعـد كتابة محضر من النصارى الملكانية باستحقاقه

البطركية . ثم يُطالع البابا بانتخابه ويُسأل اثباته واقراره . وهذا نص كلامه بالحرف الواحد . قال بعد ان ذكر ان الكراسي البطريركية اربعة :

« الاول البابّ بتفخيم البائين ويقال فيه البابا ومعناه ابو الاباء لان البترك عندهم اب فعظموه بان جعلوه ابو الاباء (كذا) وهو بترك الملكية » .. قال في الروض المعطار: ومن عادته اذا اجتمع عليه احد ملوكهم اكبّ على رجليه يقبلهما ولا يرفع رأسه حتى يكون الباب هو الذي يرفعها « ثم لما غلبت الروم الملكية وعلت كلمتهم على اليعاقبة خصّوا الباب ببطركيتهم فصار ذلك علما عليه . وله من سلطاننا المكاتبة لا الولاية »

« الثاني بطرك المكانية بكرسي انطاكية وولايته من الابواب الشريفة وبعد كتابة محضر من النصارى الملكانية باستحقاقه للبطركية عليهم بمقتضى محضر ثابت . **ثم يكتب محضر ثاني ويجهزونه النصارى الى الباب برومية فيقف عليه ويجهز لهم استمرار الولاية الى انطاكية** (ص ١٣٩) . اي يرسل لهم قبوله لهذا الانتخاب واثباته البطريركية لمن تولاها بامر الابواب السلطانية اجابة لطلب الشعب

ولا حاجة الى التنبيه على جلالة شأن هذه الشهادة السلطانية لصدورها عن احد رجال الديوان الشريف بمصر في حق قوم كانوا يُعَدّون حرباً للاسلام ويُنظر اليهم دائماً بعين الارتياب والعداء . وهي وحدها كافية لدحض كل اعتراض وإلجام كل مكابر في حقيقة ولاء الملكيين ورسوخ معتقدهم في طاعة الباب . ومن اعزّ ما فيها واعظمه خطراً انها مخطوطة بقلم مسلم غريب عن الملكيين متنزه عن كل غرض مجاملة لهم عارف برسومهم واخبارهم واقف على كتاباتهم ومحاضرهم في ما استقرّ منها في زمانه او وقف عليه في خزائن الديوان السلطاني الذي شرح قواوينه ومصطلحاته وبنى عليها تأليفه . وقد رأينا حرصاً على هذا الاثر النفيس الذي لا يُقوَّم بثمن ان ننقل هنا صورته الاصلية بخط كاتبها او ناسخها لتقطع جهيزة بها قول كل خطيب وتكون حجة لا تُدفع في يد كل مؤرخ متصف بالنزاهة والعدل

فصار ذلك علماً عليه وشعاره كرسي رومية وله من سلطانها المكانة الا
الثاني بطرك الملكانية كرسي انطاكية وولايته من الانواب الشرقية بعد كابه
محضر من النصارى للملكانية استحقاقه للبطركية عليهم عشي محضرات خرجت
محضر باني ومحضر وند النصارى للباب رومية فوقف عليه وحضر له ع
اسمر اذا الولاية الى انطاكية وتوقعه في العادة الثالث بطرك المعاقة
كرسي الاسكندرية وكان بطرك كرسي الاسكندرية مان من المعاقة وكان
من الملكانية الى حين الفتح الاسلامي فعرفه عمرو بن العاص رضي الله عنه
بطرك المعاقة وتم الى الان ولاية الامر على طايفة النصارى السابقة
وتحت طاعته ملك الحبشة ولا يستحق ولايته بترك عندهم الا من يكون ابن
زوج امه وهي بكر وانه لم يستطع بلحم ماذكي من حين ولايته ولا
يشهر عليه المجامعة اصلاً ولا يعقد له البطركية الا توجه الى الاسكندرية
والتماس بركات يوحنا المعمداني من اتباع الحواريين واقامته بقصر
الشمع بمصر وولايته من الحضرة وتوقعه في الثلث اما المطران بالقدس
فاوله كرسي القدس على ما تقدم ولم كرله طبقة من الحواريين وان اول طايفة
تولى فيه مطرانا ومن ورث المراسيم بولايته مطران كان هو المستقر في ذلك
والحكم في ولايته كالحكم في ولاية بطرك انطاكية وتوقعه في
العادة واما بطرك الملكانية بالقاهرة فانه لم كرله كرسي ولا بيت الحضرة وانه
اذا تولى حمر الى صاحب كرسي القسطنطينية البطرك على حسن الرسوم توقعه
فتقف عليه وحمر له اسمر اذا الولاية بالديار المصرية فيستمر في الولاية بذلك
واما النسطورية فانه لم كن لهم كرسي معروف ولا اطلعه ولا بطرك
الملة الثانية اليهودية ماحودين ماداذا جمع ولزومهم هذا
الاسم من قول موسى عليه السلام ماهدنا اليك وهم اعم من بني اسرائيل
لان من اليهود من ليس من بني اسرائيل وكتابهم التوراة حيث ذلك اخذا

وقـد دعانا حب التحقيق وإزالة كل شبهة وشك الى السفر الى رومية لنبحث في خزائن الڤاتيكان عن احد هذه المحاضر التي كان الملكيون يجهزونها ويلتمسون بها من البابا اقرار انتخاب بطاركتهم كلما امكنت مكاتبة رومية ولم تَحُلْ دونهـا دسائس البيزنطيين في انطاكية حينما كانت تخرج من سلطة الاسلام وتعود الى ملكهم . فما كان اشد غمنا وآلم تحسرنا حينما علمنا ان كل ما كان محفوظاً في حاضرة الكثلكة من هـذه المحاضر الملكية والمراسلات الشرقية ضـاع وتلف لما دخل رومية شارل الثامن ملك فرنسة سنة ١٤٩٣ واطلق ايدي جنوده في السلب والنهب والحريق . بحيث ان كل مـا هو في خزائن مجمع نشر الايمان من الكتابات والاخبار الملكية لا يتجاوز اليوم اوائل القرن السابع عشر . ولم يبقَ بـين اسانيد الخزائن السرية fonds secrets اثر يُركن اليـه في ايضاح غابر التاريخ الشرقي في العصور المتوسطة . فلا بد لنا اذن من الاكتفاء بشهادات الديوان السلطاني بمصر وناهيك بهـا حجة ملوكية لا تُنقض ولا تجهل لنفي كل تهمة بنسبة الشقاق الى الملكيين في مصر والشام والعراق متابعة للقسطنطينية قبل مجيء العثمانيين اليها

وفي الصفحة التي نقلنا صورتها ذكر لبطرك الملكانية بالقاهرة قيل فيه «لم يكن له كرسي فيها (لان كرسيه بالاسكندرية) وولايته من الحضرة وانه اذا تولى جهّز الى صاحب كرسي القسطنطينية البطرك على جنس الروم توقيعه فيقف عليـه ويجهز له استمرار الولاية بالديار المصرية فيستمر في الولاية بذلك (ص ١٤٠) وانما اشار الكاتب الى كتب الامانة التي كان في الرسوم تبادلها كلما امكن في ولاية كل بطريرك . فكان البطريرك الاسكندري لا يرى بدًّا من ان يرسل معها التوقيع السلطاني لاثبات صحة قيامه بمصر دون طلب تصحيحها وتقريرهـا من القسطنطينية وهو يعلم انه مماثل لبطريركها في الرتبة بل اسبق رئاسة منه واقدم نسباً . وكان من رسوم البطاركة ايضاً انفاذ كتب لذكرهم في الذبتيخة اي في الصلوات . وقد تقدم من كلام سعيد بن

بطريق ان بطريرك القسطنطينية نفسه ثاوفيلكتس انفذ سنة ٩٣٧ رسولًا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية يسألهم ذكر اسمه في صلواتهم وقداساتهم[١]

ومما ينبغي ان يُقيّد ايضاً من شهادة مخطوط باريس ذكر كتابة المحضر من النصارى الملكانية باختيار البطريرك . وقد مرّ بنا آنفاً من لفظة توقيع البطريرك داود الحوري انّ اهل ملته المقيمين بالشام رغبوا فيه وكتبوا خطوطهم به وسألوه تقريره » وهو ما يدل على ان اختيار البطاركة قديماً كان من حقوق الشعب عامة غير منوط باساقفة الكرسي . ولدينا على اثبات هذه المزية قول قديم للكاتب الانطاكي الملكي الأَبْرُطسبتيار Aprotospatoire ابرهيم بن يوحنا وهو شاهد عياني من القرن العاشر قال في خبر مقتل البطريرك الشهيد خريسطوفورس البغدادي الذي كتبه بالرومية وعرّبه باملائه : « ان الاختيار في انطاكية لم يكن للمطارنة والاساقفة الذين لا يهتمون الا بما يصلح حال نفوسهم غير مكترثين لما يصلح احوال الكافة حسبما جرت به العادة في غير موضع . بل كان الاختيار هنا لمن يُؤْمله الامر . والاهتمام به متساوياً في العامة والخاصة[٢] » اي لجمهور الشعب الشامي

على ان انتخاب البطاركة الانطاكيين كان يختلف كثيراً حينما كان البيزنطيون يسترجعون انطاكية الى ملكهم . فان القياصرة كانوا لا يؤهلون لارتقاء كرسيها الا من يريدون مكافأته لخدمة ادّاها لهم او لمشاركة لهم في الرأي والسياسة . ومن امثال هذه المكافأة القيصرية انه لما توفي البطريرك ثاودورس في طرسوس في ٢٨ ايار سنة ٩٧٦ وهو سائر الى القسطنطينية باستدعاء الملك باسيل — وكانت وقتئذ طرسوس وانطاكية في حكمه وملكه — اراد اهل انطاكية ان يلتمسوا خلفاً له . فكتبوا الى الملك وأسمَوا في الكتاب جماعة وقع اختيارهم عليهم وانتدبوا اغابيوس اسقف حلب لحمل هذا الكتاب .

---

١ نظم الجوهر ٢ : ٨٨

٢ خبر مقتل البطريرك الشهيد خريسطوفورس Extrait : *Proche Orient Chrétien* tome 11-1952 p. 14.

فسألهم ان يضيفوا اسمه الى جملة الاسماء . وشخص الى القسطنطينية بعد ان استمال عبيد الله متولي انطاكية الى طاعة الملك بعد عصيان برداس السقلارس عليه . فحظي اغابيوس بذلك لدى الملك باسيل وصيّره بطريركاً على انطاكية[1] . وبين بطاركة انطاكية نجد غير واحد تولى الرئاسة كذلك بارادة القيصر وامره دون مشورة الشعب

وكان يتفق احياناً ان يُختار بطريرك انطاكية من بين صنائع القسطنطينية اللاجئين اليها والمقيمين فيها . فيلبث في مكانه لتعذر السفر عليه الى انطاكية او لمانع آخر . فيلبس لكل حالة لبوسها وينحاز بالطبع او بالضرورة الى اهواء بطاركة القسطنطينية ويجاريهم في سياستهم ونفورهم من اللاتين بعد الانفصال ويشيع ذلك عنه فيظن من لا معرفة له بحقيقة الحال ان الكرسي الانطاكي باسره الذي يمثله بشخصه كان مشايعاً لشقاق كورولاريوس في حين ان البطريرك انما كان يتكلم باسمه الخاص في الواقع دون موافقة اساقفته وشعبه في ديار الاسلام لبعدهم عنه وعدم استطاعته مخاطبتهم وتحذيرهم من مكاتبته للنهي السلطاني الذي اشرنا اليه مراراً من تلقّي كتاب مما وراء البحار او الجواب عليه . وما من احد يجهل انه لم يصدر قط في زمن من الازمنة بعد مقاطعة القسطنطينية كتابةٌ جامعة باسم الكرسي الانطاكي ورؤساء كنائسه يُشتمّ منها اقل خصام لرومية او انحراف عنها . واذا صح قط ان احد احبار الكرسي المقيمين في الديار الرومية ببيزنطية او انطاكية جاهر بشيء من ذلك فيكون قد نطق بلسانه وعبّر عن جنانه . وهو بعيد عن كرسيه غريب عن شعبه المستقر في الديار الاسلامية . وشتان بين قوم من البيزنطيين كان الحقد السياسي او الجنسي المتأثل في صدورهم ولاسيما بعد انتزاع الصليبيين القسطنطينية في مفتتح القرن الثالث عشر يملي عليهم عبارات الخصام والخلاف لكرسي رومية وبين اقوام من العائشين في ذمة الاسلام تنزهوا عن هذه الاغراض . وبرئوا من هذه الامراض . وجاوروا الصليبيين وانقادوا للاساقفة اللاتين منذ القرن الحادي عشر

---

١ ذيل يحيى بن سعيد ١٤٨ — ١٤٩

وعلى ذكر الصليبيين هذا ما وقفنا عليه من اخبار كثلكة الملكيين في ايامهم . قال ريّ في كتابه « الجوالي الفرنجية في سورية » :

« نجد في كل الحقبة الصليبية ان النصارى البلديين الناطقين باللسان العربي كانوا يعرفون باسم « السوريين » وكانوا موافقين رومية يتّبعون الطقس الرومي . **ومنهم كان في ذلك الوقت اكثر السكان الوطنيين في الامارات الفرنجية في الاماكن المقدسة** . . . وقد ذكر كل الكتبة المعاصرين لهم وعلى الخصوص بركارد دي منسيون ان الاساقفة الذين كانوا يتولون متابعة هذه الطقوس كانوا يعترفون برئاسة الكنيسة الرومانية او على الاقل يتظاهرون بالاقرار بها[1] (Burcard de Montsion).

وقال ايضاً في الكلام على الروم في الكرسيين الانطاكي والاورشليمي بعد ان ذكر قيام البطريرك داود في انطاكية قريباً من سنة ١٢٤٠ ونبّه على انه كان كاثوليكيًّا . وقد روينا فيما تقدم توقيعه السلطاني :

« يظهر من شهادات تلك الايام ان عدداً غير قليل من اساقفة الروم ورؤساء رهبانهم كانوا لا ينكرون رئاسة رومية ولاسيما منذ منتصف القرن الثالث عشر . وكان لبعض اديارهم وفي جملتها دير القديس تاودوسيوس اوقاف معروفة في الغرب . وكان الاحبار الروم الخاضعون لرومية تابعين للبطريرك والاساقفة اللاتين كاسقف طورسينا مثلاً فانه كان تابعاً لمطران الكرك (فيلادلفيا = عمان) . . .

وفي اعتقاد بركارد دي منسيون في كتاب رحلته الى سورية ان الخوف من تسلط الاحبار اللاتين هو وحده ابعد عن رومية كثيرين من رجال الدين في سورية[2]

---

١ E. Rey: *Les Colonies Franques de Syrie* aux XII^e et XIII^e siècles. Paris, 1883, p. 75-76.

٢ A. Rabbath : *Documents Inédits*, t. I, p. 353, t. II, p. 501.

وقد فاتنا معظم اخبار هؤلاء « السوريين » في الممالك الصليبية وقد غلبوا احياناً على كنائسهم وعاينوا إبعاد اساقفتهم وحاول الغزاة اللاتين محلهم بعد اطلاق الحروم عليهم . فلا عجب اذا كانوا ينظرون اليهم شزراً في بعض الاوقات او تدفعهم الحمية والمصلحة الى مخالفتهم في الظاهر توصلا للدفاع عن نفوسهم واستقلالهم . وقد اوصى البابوات بصيانة حقوقهم واحترامها ومرّ بنا فيما سبق ان اينوشنسيوس الرابع كتب سنة ١٢٤٦ للبطريرك الملكي داود يعرفه انه اوعز الى قاصده الفرير لوران ان يكفّ عن الروم عادية اللاتين ويطالعه بكل حادثة منها

ويتبين من هذه الشواهد ان الملكيين بعد قدوم الصليبيين اصبحوا فرعين مستقلين . الاول منهما كان باقياً على حالته السابقة في سلطنة المماليك المصرية وله اساقفة ورؤساء متفرّدون . ومنهم اختير البطريرك داود . وهم الذين اشار اليهم كاتب مخطوط باريس . والفرع الثاني كان اكثر سكان الامارات الصليبية منه وكانت تتجاذبه اطماع فئتين : فئة الروم البيزنطيين حينما كان يشتد نفوذهم في انطاكية ويتولى القياصرة الدفاع عن بطاركتهم واساقفتهم المبعدين . وفئة الصليبيين الذين كانوا يترصدون الفرص للتغلب على كنائس السوريين واديارهم ولا يتحرّجون احياناً من اقصاء اساقفتهم واطلاق الحروم عليهم ليحلوا محلهم في الرئاسة والتدبير . وليس لدينا لسوء الحظ اقل شاهد يروي لنا حوادثهم وانباءهم وما توالى عليهم من التقلبات والاطوار . ولا ندري ايضاً ما حلّ بكل هذه الكنائس الملكية بعد ذهاب الصليبيين . وفي التاريخ الملكي ثلة كبيرة وفراغ ملي يتناول ما بين القرن الحادي عشر واوائل الثامن عشر لا نعلم انه قام فيه مدة سبعة قرون من روى شيئاً من اخبار الكنائس واحوال البطاركة الذين تعاقبوا في اثنائها على الكراسي الثلاثة بعد يحيى بن سعيد الانطاكي اي بعد سنة ١٠٣٣ وليس في النُتف التي تلقطها اخيراً الشماس بولس الزعيم الحلبي او في ما نقله او عرّبه والده البطريرك مكاريوس دون انتقاد او معارضة ما يصح ان يركن اليه او يقتنع به في تعريف هذه الحقبة

الطويلة وقد اجتمع فيها اعظم الوقائع خطراً واهمها عاقبة وهي الانفصال المشؤوم بين الكنيستين القسطنطينية والرومانية وضياع كل الآثار والكتابات القديمة التي اشارت اليه وحفظت عنه في رومية والاسكندرية وانطاكية واورشليم. وفي مثل هذه الحال يتعذر جداً معرفة ما استقر حقيقة في نفس كل بطريرك قام في تلك الاثناء الغامضة للحكم على موقفه بين الوفاق والخلاف ولكن هنالك امارات واعتبارات اذا تدبرها الناظر في ذلك العهد يترجح لديه اثبات الكثلكة لبعض من البطاركة عرفوا باميالهم الرومانية ونفورهم من الشقاق نظير بطرس الثالث (١٠٥٢–١٠٥٧) وثاودوسيوس الثالث (١٠٥٧–١٠٥٩؟) ويوحنا الخامس (١٠٨٩ – ١١٠٠) وداود الخوري (١٢٤٠ – ١٢٤٧؟) من المتقدمين وغيرهم ممن يضيق المقام هنا عن الافاضة في شروح احوالهم والاحتجاج لتعديلهم وهو يقتضي كتاباً برأسه .

ولما استولى الاتراك العثمانيون على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ساءت احوال الكثلكة في مملكتهم ونشأ فيها للبطاركة اليونان كلمة نافذة ودالة شديدة وخوّلوا السيادة المطلقة في إبرام المسائل الدينية ونقضها في الطوائف المسيحية . فاستعانوا بهذه الدالة للتسلط على البطركيات الملكية الثلاث وتوزيع رجالهم لنشر دعوتهم فيها . وتوصلوا بالرشى والدسائس الى اغراء الوزراء والولاة بتهديد كل من خالفهم بنقمة السلطان والتضييق على كل من انتحل المذهب الكاثوليكي. وتألب معهم لهذه الغاية نفسها سفراء انكلترا وهولندة وروسية بغضة للبابوات وتابعهم احياناً البندقة مع كونهم من اللاتين رغبة في معاكسة السياسة الفرنسية التي كان من دأبها الدفاع عن الكاثوليك[1] واستفحل العداء بانضمام الارمن اليهم وكان لهم شأن ومقام في القسطنطينية . وتألف من الجميع عصابة هائلة كان اقصى همها مطاردة الكثلكة والضرب على ايدي اشياعها او المنتقلين اليها وتبديد شملهم بكل الحيل والوسائل . وامتاز الانكليز في هذه الحرب

---

[1] A. Rabbath : *Documents Inédits*, t. I, p. 353 ; t. II, p. 501.

الغشوم باليقظة والسطوة والشدّ من ازر اليونان . وكان منهم في حلب تاجر يدعى شرمن كان من اكبر انصار البطريرك سلفسترس القبرصي واعانه على الهرب من حلب سنة ١٧٢٥ خوفاً من القبض عليه اجابة لطلب قنصل فرنسة واعدّ له خارج المدينة خيلاً وحامية اوصلته الى اللاذقية ومنها الى طرابلس . وقبل هربه اودع البطريرك عنده اواني الكنيسة ومفاتيحها[1]

ومن انجع الوسائل التي كان يستعين بها بطاركة اليونان وخصوم الموسلين للايقاع بكل من حدثته نفسه بالانضمام الى رومية انهم كانوا يتهمونه لدى الحكام بانه « فرنجي » اي حرب للدولة ساع في الخروج عن سلطتها وممالأة اعدائها كما كان انصار النساطرة يقولون عن الملكيين في الخلافة العباسية حسبما تقدم الاستشهاد عليه . « وكانت البابوات وقتئذٍ ماوكاً يجندون العساكر ويشهرون الحروب وقد تقدم لهم مساعٍ مشهورة في إثارة الغارات الصليبية والمناداة بجهاد الاتراك . وامتاز بينهم كاليكطس الثالث بالتحريض والاعانة على قتال السلطان محمد الفاتح حتى توصل الى هزيمته في موقعة بلغراد سنة ١٤٥٦ فلا بدع اذن ان يغلب على اعتقاد الدولة ان كل منتمٍ الى البابوات من رعاياهم المسيحيين لا بد ان يكون عدوًّا خائناً بحيث اصبح عندهم مجرد التلقب بالكثلكة مظنّة للخيانة والبعد عن الوطنية العثمانية[2] » . وظلّت هذه التهمة والمخافة من التعرض لغوائلها سيفاً مُصلتاً فوق رؤوس الملكيين يخشاه كل من دعته نفسه الى الاتحاد . ولذلك قال البطريرك كيرلس الزعيم في رسالة الى البابا اكليمنضس الحادي عشر بتاريخ ٢٠/٣١ آب سنة ١٧١٦ فيما رواه عن جدّه « إن رحنا الى رومية يقول الروم البطريرك مكاريوس صار فرنجي » . ولا محالة ان خوف هذه التهمة والحذر من انتقام بطاركة القسطنطينية كانا من اكبر الاسباب التي روّعت الملكيين وكفّت افواههم عن المجاهرة باميالهم الرومانية

---

١ A. Rabbath : *Documents Inédits*, t. I, pp. 367-368, 380.

٢ *Revue de l'Église Grecque Unie*, fascicule 2, février 1890, p. 409-410.

وبقيت هذه الاميال والاهواء القديمة مستقرة في نفوس الملكيين الشاميين تبدو واضحة باجلى مظاهرها حين لا يقف في وجهها سدّ او حاجز ثم تكمن كمون النار تحت الرماد كلما ضغط عليها ضاغط بيد السلطان او مكيدة من مكايد اليونان . وكانت اشد رسوخاً في صدور الشعب تبعده عن كل تغرض وعدم اقباله على الجدال . وحسب المتأمل ان يتذكر ضجة الفرح والاغتباط التي ارتفع دويّها في كل المدن الشامية حينما قدم الخبر بالاتفاق المنعقد في مجمع فلورنسة على ما شهد به مخطوط خزانة القبر المقدس[1] . او ان يعتبر لهجة جواب اعيان طرابلس في رسالتهم سنة ١٤٨٤ الى البابا غريغوريوس الثالث عشر لما دعاهم قاصده ليونار ابل الى الطاعة والاتحاد . فوقع كل منهم بخط يده بغاية التذلل «سميع مطيع» في غياب بطريركهم يواكيم ضوّ[2] : وهذا الجواب السريع كافٍ وحده للدلالة على محبة الشعب الشامي للائتلاف والخضوع وتلبيته اول طلب كان يوجه اليه من رومية

ومع كل ما كان يتهدد البطاركة الانطاكيين من اخطار الانحياز الى رومية وتعرضهم من اجله لانتقامات اليونان لم يحجم غير واحد منهم عن التظاهر بكثلكته باربط جأش واصدق عزيمة . وكنا نود ان نأتي على ذكر كل من برهن منهم على ولائه لرومية بين السنين ١٠٥٤ — ١٧٢٤ اي منذ شقاق القسطنطينية الى انفصال الطائفتين في سورية ولكن وجدنا ان المقام لا يتسع هنا للتطويل والشروح فاخترنا بين تراجم البطاركة الكاثوليكيين اصدقهم اعتقاداً واركنهم جرأة وتقوى وهو البطريرك افتيموس كرمة الذي لم يخشَ مراسلة رومية وامتاز في حياته الفقيرة بالترحيب بالمرسلين والسماح لهم بالوعظ في الكنائس وتثقيف احداث رعيته

---

١ *Revue de l'Église Grecque Unie*, fascicule 2, février 1890, p. 409-410.

٢ A. Rabbath : *Documents Inédits*, t, Ier, p. 183-187

لدينا نسخة مصورة من جواب اعيان طرابلس كتبوا فيه «لا شغل عندنا وعند المطارنة والاساقفة والكهنة الذين لنا الا تكميل الاتفاق والمحبة في استقامة الامانة الارثوذكسية الكاثوليكية . . . ونحن عبيد قدسكم سميعين مطيعين وخاضعين الى الكرسي البطرسي الرسولي»

البطريرك افتيموس كرمه ابن الخوري حوران ابن القسيس موسى من مدينة حماة[1]

١٦٣٤-١٦٣٥

هو كما يُرى من نسبه من بيت كهنوت اباً عن جد . كان منذ حداثته مطبوعاً على التقوى والورع والزهد في الدنيا . ولذلك آثر التوهب في دير مار سابا في القدس . ثم اختير لمطرانية حلب فظلّ فيها ٢٢ سنة لا همّ له الا الاصلاح وارشاد الرعية وتثقيف الاحداث . وفي ايامه دخل الاباء اليسوعيون حلب فاحسن استقبالهم ورخّص لهم بالوعظ في الكنائس والتعليم في المدارس وزيارة البيوت لتقويم الاخلاق والعادات المنكرة . وكان عارفاً اللغة الرومية فتولى تعريب كتب الصلاة منها الى العربية . وفي مقدمة غير واحد منها انه نقلها ايضاً من السريانية فهل كان عالم بها ايضاً . وكانت الكتب الطقسية نادرة في اللغة العربية او سقيمة الترجمة فنشط لاصلاحها . ثم ادّاه هذا الاجتهاد الى مكاتبة رومية في اعادة تعريب هذه الكتب وطبعها لتوزيعها على مسيحيي الشرق . وله في هذا المعنى عدة رسائل محفوظة في خزائن مجمع نشر الايمان وقفنا عليها ومن مطالعة رسائله نتبين شدة تقواه واتضاعه وطيب طويته وصحة اعتقاده في رئاسة الكرسي الروماني . وقد وضع له تلميذه البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي ترجمة خاصة شرح فيها اخباره وفضائله ودعاه فيها « النبيل في القديسين » واطرأ سيرته وحسن رعايته وصبره على المكاره والشدائد . ولكنه سكت كعادته عما كان بينه وبين رومية من حسن الصلات ولم يُشر بحرف واحد الى تقريبه المرسلين . وكان انتخابه للبطريركية في ١٠ ايار سنة ١٦٣٤ ومطرانيته على حلب في ١٢ شباط سنة ١٦٢٢

---

١ في خزانة بريتيش موزيوم نسخة من كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد للاب سمعان ابن مقارة القبطي بخط لجنة اخي البطريرك افتيموس ذكر فيه نسبه كما اوردناه

وفي خزانة مجمع نشر الايمان طلب منه صريح للانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية[1]. ولكنه ما كاد يُنهي هذه الرغبة الى رومية حتى توفي في اول كانون الثاني سنة ١٦٣٥ بعد ثمانية اشهر قضاها في البطريركية. وراب موته العاجل معاصريه واتهموا باغتياله بعض الرهبان اليونان. قال الاب جان اميو «مات كاثوليكيًا رومانيًا ولذلك غلب الظن ان اعتقاده كان سبباً لتعجيل موته وانه سُمّ بيد احد الرهبان اليونان الاشقياء. لانه كان لا يتكتم في طاعته للبابا ويجاهر بها علناً[2]»

وممن ذكر تهمة اغتياله الاب بتون اليسوعي في كتابه «سورية والارض المقدسة في القرن السابع عشر» في كلامه على الاب كويروت وانتشار الوباء في حلب اول قدومه اليها. قال:

«بعد ان انقطع الوباء عرض الاب كويروت نفسه على مطران حلب وكان متشدداً في الكثلكة كثير التقشف في معيشته. فامر ان يُعهد الينا تعليم شبان الروم. واوصانا ان لا نبالي باقوال اعداء الكنيسة الرومانية. ونحن نتذكر ان هذا الحبر القديس كان اكثر ما يقتات بقليل من الخبز والماء وهما غذاؤه المعتاد. وكأن الله اراد ان يكافئه على هذه الآلام ويزيده في حياته مجداً بقدر ما نقص من عمره. فسمح ليكون كاثوليكيًا رومانيًا ان تُحترَم ايامه. وكان بطريرك القسطنطينية قد انكر عليه قبوله راهب فرنجي لتعليم الروم في داره. ولكن هذا الرجل العظيم لم يتحول عن عزمه واوعز الى الطلبة الروم ان يتلقوا الدروس في منزلنا لان الاب كويروت لم يكن يستطيع ان يتابع اهتمامه بالتعليم العام والارشاد المعتاد ويصبر معاً على شظف المعيشة الشاقة التي كان يعيشها في دار المطران في محلة النصارى المسماة «الجديدة» وكان يذهب اليها كل ايام الاثنين وليس معه من الزاد الا قليل من الارز

---

١ *Acta S. C. di Prop. Fide*, 1635, f° 207v°.

٢ A. Rabbath: *Documents Inédits*, t. I, p. 402, 397-398.

كان يطبخه على موقد صغير في صحفة من نحاس مع كسرات من الخبز يتناولها دون خمر وكان هذا قوته الى ايام السبت التي كان يقضيها مع الاب مانكلياي Maniglier شبيهه في الجلد والتقشف . ويبقى في صحبته ايضاً ايام الاحـد . وعلى هذا المنوال كان المطران والابوان يتبارون — اذا صح هذا القول — في استحقاق جائزة الصيام . بيد ان هذا الحبر الفاضل كان قد سبقهما وتقدم عليهما في الصبر على اوجاع هذه المعيشة[1] »

ومن الشواهد على اغتيال البطريرك بالسم من مصدر غير كاثوليكي حاشية وقف عليها قبل رئاسته غبطة مـار افرام برصوم بطريرك السريان الارثذكس وتفضل بها علينا نقلاً عن كتاب المرشد لابي نصر التكريتي قرأهـا في بيت احد وجهاء السريان بديار بكر جاء فيها :

« بتاريخ سنة ١٩٤٦ (لليونان = ١٦٣٥ م) توفي مطران كرمه في ارض الشام . وكان سبب موته انه سُقي سماً ومضى الى ابائه فسبحان الحي الذي لا يموت »

وكان هذا الانتقام القسطنطيني نذيراً لكل من شاء الانضمام الى الكثلكة ورادعاً لكل من دعتـه رومية الى الاتفاق والاتحاد . ولما سألت رومية البطريرك افتيميوس الصاقي خلف افتيميوس كرمه ان يوقع على كتاب امانته الكاثوليكية ابى واعتذر بالخوف من البطريرك القسطنطيني . قال الاب جان اميو رئيس الاباء اليسوعيين في سورية :

« اقرّ لي صريحاً انه يعترف بسلطة البـابا ووجوب الطاعة له ولكنه لا يستصوب المجاهرة بذلك لمعرفته مـا حدث لسلفه . . . فقلت له يوماً يا سيدنا اي ضرر عليكم اذا ابلغتم رومية سرًّا انكم كاثوليكيون . فقال هيهات

---

[1] J. Besson : *La Syrie et la Terre Sainte* au XVII^e siècle, Poitiers 1862. pp. 24-25.

يا ابانا . ان اصحابنا الروم شديدو التعصب ولهم عيون في رومية . فلا استفيد الا ما استفاده سلفي[1]

ولدينا صورة كتاب ثلجة شقيق البطريرك افتيميوس نعى فيه اخاه الى البابا وقد كان اوصاه بذلك لما احسّ بدنو موته . وفي هذه الوصاة وهو على شفير القبر ما لا يخفى من وفاء العهد والولاء والاخلاص

وفي حياة البطريرك ووفاته برهان ساطع على رسوخ الكثلكة في نفوس الملكيين الانطاكيين وكمونها في صدورهم زهاء قرن كامل قبل انفصال الطائفتين سنة ١٧٢٤ مع كل ما كانوا يتعرضون له في كل حين من مظالم القسطنطينية ولولا دسائس رجال الدين اليونانيين وتحريضهم الولاة العثمانيين على مطاردة الكاثوليك وتبديد شملهم بالسجن والنفي والقتل والسمّ لكان غالب الملكيين بعد شقاق القسطنطينية يدينون دائماً كما قال القلقشندي بطاعة الباب

---

[1] A. Rabbath : *Documents Inédits*, t. I, p. 402.

مقر البطاركة بعد خراب انطاكية

اختلف المؤرخون في تعيين زمن انتقال البطاركة من انطاكية بعد ان اخربها السلطان بيبرس البندقداري سنة ١٢٦٨ واستباحها قتلاً ونهباً وتدميراً . ولم يتفقوا ايضاً على القرن الذي اتخذوا فيه دمشق مباءة لهم . وفي دعوى الاب لوكيان صاحب الشرق المسيحي ان هذا الانتقال كان في اوائل المئة السادسة عشرة . وهو وهمٌ منه ظاهر لان مقامهم بدمشق كان معروفاً منذ القرن الرابع عشر . وفي كتاب « كنيسة اورشليم[1] » باليونانية لمؤلف غفل ان جلاءهم عن انطاكية كان في ايام البطريرك تاودوسيوس اي حوالي سنة ١٢٨٤ باتفاق عليه بين القسطنطينية ومصر . ولا نرى وجهاً لهذا الرأي لانه لم تكن قط حاجة الى استئذان مصر لسكنى البطاركة . وقد احتلوا غير بلد واحد بعد هجرتهم من انطاكية دون ان يروا وجوباً لالتماس الامر من الابواب الشريفة بمصر . وذهب آخرون الى ان استقرار البطاركة بدمشق كان في زمن يخوميوس بعد سنة ١٣٥١[2] وكان قبلاً مطراناً على دمشق عُقدت له البطريركية ثلاث مرات كان يتولاها ثم يعزل عنها وهو لابث في مكانه. واقتدى به من جاء بعده . وهو قول اقرب الى الصواب ولكن لدينا حجة على خلافه . وقبل ان ندلي بها لا غناء لنا عن ذكر اكتشافين مهمين وفقنا اليهما وظفرنا بهما في مخطوط في خزانة باريس . وفي تاريخ البداية والنهاية لابن كثير

---

١ H. Musset : *Histoire du Christianisme*, t. I, p. 550 note 3.

٢ قال في صبح الاعشى في كلامه على زعماء اهل الذمة بدمشق : « وبها بطرك النصارى الملكانية (ج ٤ ص ١٩٤) وهو شاهد سلطاني لا يُنقض على وجوده بدمشق في سنة ١٤١١ تاريخ فراغ صبح الاعشى وهي سنة ٨١٤ للهجرة

مخطوط باريس رقم ٢٠٦١

تالي كتاب وفيات الاعيان للموفق فضل الله بن ابي الفخر الصقاعي الكاتب

هذا نص ما جاء فيه بالحرف في ترجمة احد اطباء دمشق :

الحكيم ابو النجم بن الصفي بن الارشي النصراني المتطبب

« كان والده طبيباً وجده . وصار والده مطراناً على جماعة الملكية اقام مدة لطيفة فتوفي . وأقيم موضعه رجل يُعرف بداود بن المطران مطراناً اقام مدة على غير الطريق الواجبة على امثاله وعبر . وأقيم ابو النجم هذا مطراناً عوضه في (سنة ٧١٨ للهجرة ١٣١٨ – ١٣١٩ للميلاد) ولما كان طبيباً غير مطران ولا راهب كان على طريقة لم يكن عليه تبعة سوى خوف الله . وبعد مدة من اقامته مطراناً توفي البطرك صاحب كرسي انطاكية وهو حاكم بالشام وغيره على المطارنة وغيرهم . وأقيم عوضه في موضع وفاته ببلاد الارمن بطرك يعرف بالراهب الصوري وتصرف . فوثب ابو النجم هذا بدمشق وجمع جماعة من المطارنة والاساقفة واستمالهم الى ان اقاموه بطركاً في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م) واتفق قطع الطريق من بلاد الارمن في المدة . وارسل اليه الذي أُقيم يوعده ويتوعده ويردّه الى الصواب . فاصرّ واستمرّ على المخالفة واعتراه امراض مختلفة اقام في آلام منها الى ان توفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة (١٣٢٣ م) مذموماً لا مشكوراً (ص ٨٦ – ٨٧)

وفي هذه الترجمة الموجزة على غموض بعض عباراتها عدة فوائد وايضاحات خطيرة الشأن . وهذه اول مرّة يُنبَّه عليها . ولم يتقدم لاحد استدعاء النظر الى ما فيها من الطرائف والخبايا وهي :

اولاً : اسماء ثلاثة مطارنة لدمشق لم يكن احدهم معروفاً ولم يرد لهم ذكر في تاريخ كرسي دمشق الملكي ولا بين اطباء عيون الانباء لابن ابي أصيبعة . وهم :

١ الصفي بن الارشي الطبيب توفي (بطريق صفد) سنة ثلاث وسبعمائة للهجرة (١٣٠٣/١٣٠٤ م) ص ٩٤ من المخطوط المذكور

٢ داود بن المطران توفي سنة ثماني عشرة وسبعمائة (١٣١٩/١٣١٨ م) ص ٩٨ من المخطوط المذكور

٣ ابو النجم الطبيب بن الارشي — وفي موضع تاريخ مطرانيته بياض في المخطوط ذكرناه بين هلالين اي سنة ٧١٨ (١٣١٩/١٣١٨) وهي سنة وفاة سلفه داود . وقد فاتنا إسما الصفي وابي النجم في المطرانية . وقد شهد ابن فضل الله العمري ان بني الارشي كانوا اطباء معروفين بدمشق في ايامه[1] . وانه كان من ذوي قرابتهم رجل مدبر دولة صاحب اخره ملك ملوك الحبشة[2] . فكانوا اذن اجلّة اعيان دمشق . ولا بدع اذا طمع احدهم في البطريركية وهو مطران . وليست هذه المرة الاولى التي تشوّف فيها امثاله الى الجمع بين طب الاجسام وطب النفوس . ومن اشهر الاطباء البطاركة بالاسكندرية بليطيان († ٨٠٢) وسعيد بن بطريق († ٩٤٠)

ثانياً : ذكر وفاة البطريرك السابق ديونيسيوس خارجاً عن انطاكية في بلد الارمن اي في قيليقية وهي من ملحقات البطريركية الانطاكية . وكان فيها

---

١ من بني الارشي الاطباء الشماس سابق المتطبب سنة ٧٠٠ للهجرة (١٣٠٠ — ١٣٠١ م) وقفنا له على تعليق بقلمه على كتاب نظم الجوهر تاريخ سعيد بن بطريق نسخة قديمة دخلت في ملك البطريرك ميخايل الصباغ الحموي محفوظة في خزانة بريتيش موزيوم No 32 Coton Caligula A VI وهذا نص ما كتبه في ظهر الورقة ١٩٣

« الله يعين كل من اتكل عليه »

« طالع اكثر هذا الكتاب الحقير في الثامنة سابق المطبب ابن الحكيم ابو الفرج ابن الحكيم يوسف ابن الحكيم تعلب الارشي بكنيسة بصرى المسيحي الملكي الراجي عفو ربه وغفرانه . . . وكان ذلك بدير اللفف (؟) من اعمال الصلت في دار الشيخ المبارك ابو القس المرحوم فرنجي . . . في آخر شهر حزيران سنة ستالف وثمان ماية وتسع وستين لابينا آدم عليه السلام الموافق العشر الاوسط من شهر شوال سنة سبع ماية للهجرة (١٣٦١ م) والسبح لله دايماً والله يحسن الى كل محسن

٢ التعريف بالمصطلح الشريف ص ٣٠

كرسي اسقفيته اي في بومبيوبوليس احدى اسقفيات طرسوس وتدعى ايضاً بالاصولي فيما نقله الشماس بولس الزعيم الحلبي . ولما تولى البطريركية يظهر انه لبث في مكانه ان لم يكن هو ديونيسيوس الثاني اسقف المصيصة قبلاً . فكان السفر الى الشام وقتئذٍ صعباً ولذلك كلاهما آثر البقاء في موضعه اجتناباً لاخطار الطريق

ثالثاً : الاشارة الى الراهب الصوري وتفويض البطريركية اليه في البلد نفسه بارمينية حيث اقام ايضاً حتى اذا اتصلت الطريق بعد انقطاعها بين قيليقية والشام كتب للبطريرك منازعه في دمشق كتاب إنكار ووعيد . واذ كان هذا الراهب الصوري الذي صُيّر بطريركاً هو صفرونيوس مطران صور لا ندري كيف اتفق وجوده في قيليقية ولا كيف تم انتخابه فيها للبطريركية . وعلى كل لدينا شهادة الصقاعي ان بطريركيته كانت قبل سنة ١٣٢١ وهي السنة التي نازعه فيها البطريرك الارشي بدمشق

رابعاً : اسم بطريرك كان مجهولاً وهو ابو النجم بن الارشي الطبيب الدمشقي . وكان قيامه بموافقة قسم من اساقفة الكرسي بالشام ولم يتجاوز سنة واحدة لوفاته بالعاجل . وقد فاتنا اسمه في البطريركية . ومن حسن الحظ ان الصقاعي نصّ على سنتَي قيامه وموته أي ١٣٢١ و١٣٢٢

خامساً : اثبات ان اول من اقام بدمشق من البطاركة بعد خراب انطاكية لم يكن نجوميوس سنة ١٣٦٦ كما رجّحناه في كتابنا خزائن الكتب (٢٢٨) حين سبق لنا نقد دعوى الاب لوكيان وسائر من تابعه ان انتقال البطاركة الى دمشق كان في اوائل القرن السادس عشر . وانما كان في الواقع سنة ١٣٢٢ بشهادة الصقاعي احد معاصري البطريرك ونزيل دمشق وقتئذ . وهي شهادة تقطع قول كل خطيب

ومن البطاركة الذين انتهى الينا بالضبط زمن وجودهم بدمشق سنة ١٣٦٦ البطريرك ميخايل بشارة ذكره ابن كثير وحكى زيارته له وحديثه

معه في مقـام البطاركة وما يعتقده الطوائف الثلاث الملكية واليعقوبية والنسطورية . قال : « فاذا هو يفهم بعض الشيء ولكن حاصله انه حمار من اكفر الكفار لعنه الله » . ومثل هذه الشتيمة والاساءة من ابن كثير تُغتفر له للخدمة التي ادّاها لنا عَرَضاً بحفظه اسم البطريرك وتاريخ يوم اجتماعه به وهما فائدتان انفرد بروايتهما لنا لا نجدهما في رواية اخرى . وهـذا نص ما كتبه بالحرف في تاريخه :

(البداية والنهاية لابن كثير)

« سنـة ٧٦٧ (١٣٦٦ م) حضر عندي يوم الثلاثاء تاسع شوال البترك بشارة الملقب بميخائيل واخبرني ان المطارنة بالشام بايعوه على ان جعلوه بتركاً بدمشق عوضاً عن البترك بانطاكية . فذكرت له ان هذا امر مُبتدع في دينهم فانه لا تكون البتاركة الا اربعة . بالاسكندرية وبالقدس وبانطاكية وبرومية . فنُقل بترك رومية الى استنبول وهي القسطنطينية . وقد انكره عليهم كثير منهم اذ ذاك . فهذا الذي ابتدعتموه في هذا الوقت اعظم من ذلك . لكن اعتذر بانه في الحقيقة هو عن انطاكية وانما أُذن له في المقـام بالشام الشريف لاجل انه امره نائب السلطنة ان يكتب عنـه وعن اهل ملتهم الى صاحب قبرص يذكر له ما حلّ بهم من الخزي والنكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الاسكندرية[1] . واحضرني الكتب اليه والى ملك اسطنبول وقرأها علي من لفظه . لعنه الله ولعن المكتوب اليهم ايضاً . وقد تكلمت معه في دينهم ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثـلاث وهم الملكية واليعقوبية . ومنهم الافرنج والقبط والنسطورية . فاذا هو يفهم بعض الشيء . ولكن حاصله انه حمار من اكفر الكفار . لعنه الله »

(الجزء الرابع عشر ص ٣١٩ — ٣٢٠)

ويستدل من هذا النص ان الشماس بولس الحلبي اخطأ حين زعم في تاريخه « سفرة البطريرك مكاريوس » ان ميخايل صار بطريركاً سنة ٦٨٧٧ للعالم اي

---

[1] كان ملك قبرص في السنة الفائتة غزا الاسكندرية وغنبها واستشهد جماعة من المسلمين فأرسل النصارى بجمل اموالهم لفكاك اسرى المسلمين ونُقيموا في مصر والشام وحُملوا اثم هذا العدوان . واضطر بطريركا الاسكندرية وانطاكية بالكتابة الى قبرص والقسطنطينية بتقبيح هذه الغزاة والتحذير من غوائلها

سنة ١٣٦٩ للميلاد وقد عيّن ابن كثير زيارته له سنة ١٣٦٦ . وفي رواية الشماس ان وفاة البطريرك ميخايل كانت في ١٧ آب سنة ٦٨٨١ اي ١٣٧٣ ولم يقل ابن وجد هذا التاريخ لنكون منه على ثقة تامة .

وفي زعم البطريرك مكاريوس والد الشماس بولس انه بعد وفاة البطريرك اغناتيوس « روسا كهنة ابرشية انطاكية عملوا مجمعاً مقدساً ونقلوا البطريركية من انطاكية الى مدينة دمشق لانها ام البلاد[1] » . ولم يقل ابن وقف على خبر هذا المجمع وقد انفرد بذكره ولم نجد اشارة اليه في كل ما راجعناه من الروايات . وعنده ان الملك الظاهر بيبرس فتح انطاكية وهدمها في زمان البطريرك اغناتيوس وهو تخليط ظاهر لان بين الزمانين ما ينيف على سبعين سنة

واذا صح ان اول من لبث من البطاركة في مكانه بدمشق هو الطبيب الارشي وهو من اهلها . وكان ايضاً البطريرك ميخايل بشارة بلدياً نظيره على وجه الافتراض والتخمين . يكون ابناء دمشق هم الذين عقّوا والدتهم وسلبوها استقلالها وجلبوا عليها ضروب الشدائد والخسائر وعرّضوها لمظالم الحكام الطامعين في مصادرات المقيمين فيها فضلاً عن اضرار الرؤساء المتنازعين احياناً على البطريركية وشرور الاحزاب المنقسمين بينهم . ولذلك ساءت احوال كنيسة دمشق منذ الانتقال وغلب عليها الفقر والاهمال وضاعت اوقافها واتضعت منزلتها ولم يُجدِها اقل نفع شرف تسلط البطاركة عليها في مكان رعاتها الشرعيين لقلة احتفالهم بمصالحها وضيق ذرعهم بتدبيرها مع ما كان يتوزع بالهم من هموم ولايتهم المتسعة . وفي التاريخ الملكي عدة شواهد على ذلك يضيق المقام هنا بتعدادها

---

١ شرح اسامي بطاركة مدينة الله انطاكية في المخطوط رقم ٢٩ من خزانة ليننغراد ص ١٨٠

فهرس

	الصفحة
مقدمة	ج
اصل لقب الملكيين	١
الروم الملكيون	٩
المشارقة الملكيون	١١
الموارنة الملكيون	١٤
الارمن الملكيون	١٦
الفرنج الملكيون	١٩
البابا بطريرك الملكيين	٢٠
شقاء الملكيين بلقبهم	٢٣
امثلة من نكبات الملكيين لانتمائهم الى ملوك الروم	٣٢
أيمان النصارى الملكانيين	٤٥
تواقيع البطاركة الملكيين والعهود التي كانت تُعطى لهم في الدول الاسلامية	٥٣
« الملكانيون يدينون بطاعة الباب »	٦٣
البطريرك افتيموس كرمه	٧٧
مقرّ البطاركة بعد خراب انطاكية	٨١

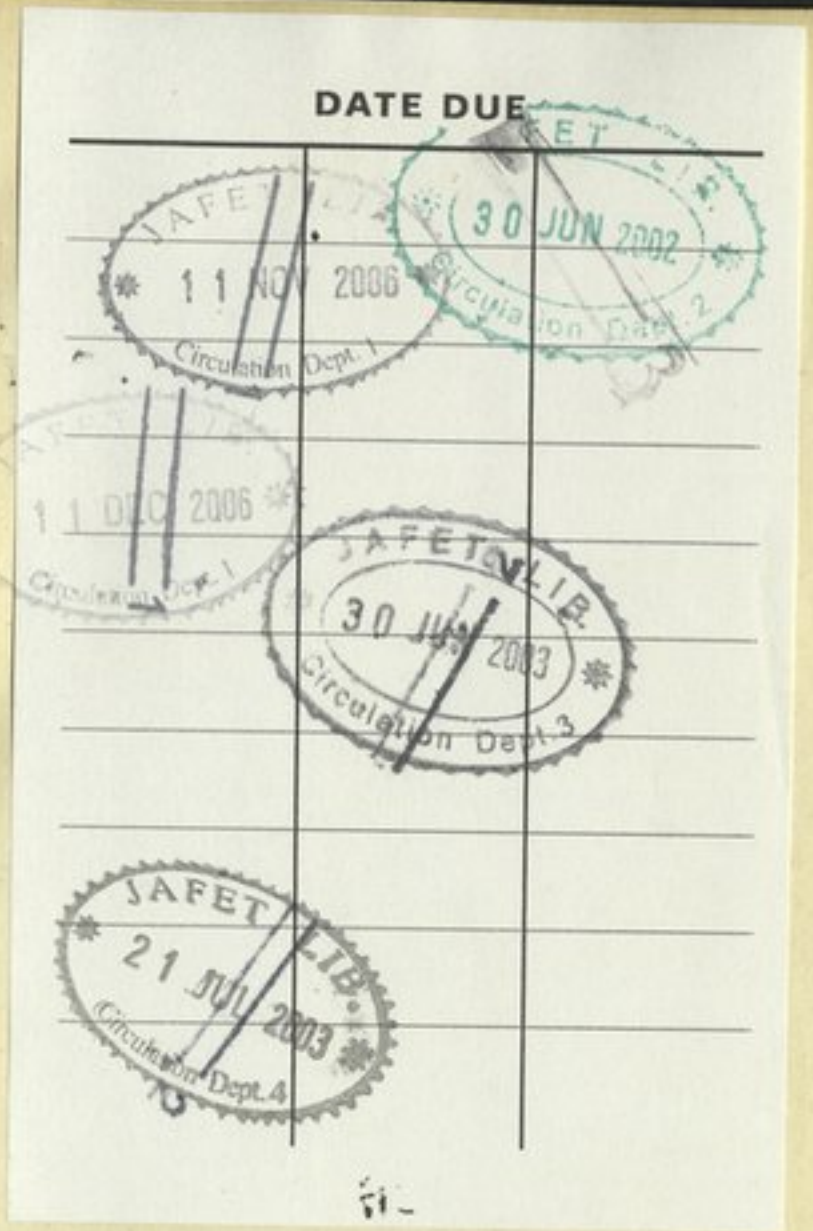
DATE DUE
JAFET LIB.
11 NOV 2006
Circulation Dept.1
JAFET LIB.
30 JUN 2002
Circulation Dept.2
JAFET LIB.
11 DEC 2006
Circulation Dept.1
JAFET LIB.
30 JUN 2003
Circulation Dept.3
JAFET LIB.
21 JUL 2003
Circulation Dept.4

A.U.B. LIBRARY

CA 282:Z39rA:v.1:c.1
زيات، حبيب نقولا
الروم الملكيون في الاسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01001777

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
1866

CA
282
Z 39rA
V.1

General Library

CA
282
Z39rA
v.1
c.1